

## الصورة القرآنية لانهايار الموجودات

الدكتور أحمد الصفار \*

---

\* أستاذ جامعي كيميائي وباحث مهتم بالدراسات القرآنية.

## الخلاصة:

تناول البحث مفهومين قد يكونان جديدين، وتمت مناقشتهما من خلال الآيات البيّنات. وهما أن الحياة قائمة لكل شيء في الموجود فلا موت لها بالمعنى المتعارف عليه إلا قبل القيامة، وأحد أدلة ذلك هو التسبيح المستمر ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: آية 44]. فإن كل ما في الموجود له حياة. وإن ماتت الأحياء بسلب الروح عنها وتبلى أجسادها، فسلب الروح هو لإيقاف الفعاليات الحيوية فقط، فأجزؤها تستمر فيها الحركة وستبقى تسبح.

والحياة هنا تعرّف بالحركة وليس بصفات التنفس، والتكاثر وغيرها من الفعاليات الحيوية المتصف بها ما متعارف عليه بالكائن الحي (الحيوانات والنبات وغيرها). والتي تنتهي بسلب الروح منها. وهي التي حدد فناؤها بالآية الشريفة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: آية 26]. فليس الموت الكلي وهو الهلاك يتم بسلب الروح منها بل هو بسكون الحركة الدائبة في الجوهر.

أما الأمر الثاني فهو ما بعد النفخة الثانية أو ما تسمى بنفخة الإحياء وهما قبيل قيام القيامة وانتهاء الحياة الدنيا، فبعدها تعود الأرواح لأجسادها المنتثرة، وبعدها لا يعاد سلب الأرواح (والله العالم) بل تتوقف الحركة وتسكن.. فينهار كل شيء ويصبح هباءً منثوراً وكثيباً مهيلاً ثم سرايا ثم هباء، وتعود السماء بعد تشققها وضعفها دخاناً. وخلاصة تلك المشاهد المهولة، وكيف سينتهي الكون وتقوم القيامة ترسمها الآية الشريفة: ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ

وَاحِدَةً ۝ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ۝ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ۝ وَانْشَقَّتِ  
السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿سورة الحاقة: الآيات 13-16﴾، "والذي سبق إلى الفهم من سياق  
الآيات؛ أنها النفخة الثانية التي تحيي الموتى"<sup>2</sup>. إن وجودنا قائم على حركة مكونات الذرة  
(وهي أصغر مكونات المادة، وهي جوهرها) وهي حركة دائبة دائمة في كل شيء، وفيها  
يتحرك الإلكترون، وبسكون هذه الحركة الإلكترونية فحينئذ سينهار الكل ويهلك، سواء كان  
الهلاك بالعدم أو بتفريق الأجزاء وإن كنتُ أميل إلى الثاني، ويومئذ يتحقق الهلاك ﴿كُلُّ شَيْءٍ  
هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: آية 88]. إن هذا البحث لم يتعرض إلى غير الظواهر  
الكونية متجاوزا بذلك كل ما يتعلق بالإنسان ضمن مشاهد يوم القيامة هذه وما قبلها، لكثرة ما  
كتب حوله.

---

2 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج19، ص 397

1	الصورة القرآنية لانهايار الموجودات.....
2	الخلاصة:
4	المحتويات
7	مقدمة:
8	الفصل 1: الحركة في الموجود.....
9	الفصل 2: تراتبية الزمن للعوالم الوجودية.....
11	الفصل 3: معنى الحياة .....
16	أفعال الأشياء دليل حياتها .....
16	1. تسبيح الأشياء .....
17	2. معرفة الأشياء .....
18	3. سجود الأشياء .....
18	4. خشوع الأشياء .....
19	5. توحيد الأشياء لله .....
20	6. نطق وشهادة الأشياء .....
23	الفصل 4: الحركة والتكامل.....
23	الفصل 5: الحركة الجوهرية.....
28	الفصل 6: حركة الإلكترون.....
33	الفصل 7: مفهوم الحياة مطلق لكل الأشياء في الكون .....

- 35..... ماذا لو سُلبت هذه الحركة من قبل واهبها؟
- 35..... 1. الجبال:
- 37..... 2. الأرض
- 39..... 3. السماء:
- 41..... الفصل 8: الموت والفناء والإعدام والهلاك
- 45..... الفصل 9: السكون
- 47..... لو توقفت الأرض عن دورانها حول الشمس فماذا يحدث؟
- 50..... الفصل 10: الصورة القرآنية للحظة انهيار الموجودات
- 51..... ماذا لو اختل النظام الشمسي؟
- 52..... 1- الأرض والشمس
- 57..... 2- النجوم والسماء
- 61..... 3- الشمس والأرض
- 65..... 4- البحار والمحيطات
- 66..... 5- الجبال
- 67..... الفصل 11: النفخة الأولى والنفخة الثانية والانتقال الى النشأة الآخرة
- 68..... 1. الصيحة:
- 70..... 2. الصاخة:
- 70..... 3. القارعة:
- 71..... 4. الزجرة:
- 71..... 5. الراجفة والرادفة:

72.....	6.	النفخة الأولى ﴿نفخة الإمامة﴾:
73.....	7.	أشراط الساعة:
74.....	1.	بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
74.....	2.	اندكاك سد يأجوج ومأجوج:
74.....	3.	اتيان السماء بدخان مبين:
74.....	4.	نزول المسيح عليه السلام:
74.....	5.	إخراج دابة الأرض:
75.....	6.	مجيء بعض آيات الرب تعالى:
75.....		مشاهد يوم القيامة:
75.....	8.	النفخة الثانية ﴿نفخة الإحياء﴾:
77.....	9.	ما قبل المعاد ﴿نفخة الهلاك﴾:
81.....		الخاتمة:
82.....		ثبت المصادر:
86.....		تعريف بالباحث:

## مقدمة:

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الكون وقدّر له الهلاك، ومثلّ جلّ وعلا ذلك الهلاك بصورة نبات يخضّر لأيام قليلة ما يلبث أن يصفرّ ويذبل فيحصد، فيستأصل الموجود ولا يبقى له أثر بعد عين، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَبِ الْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [سورة يونس: آية 24]. وسيكون زوالها سريعا وفناؤها كالهشيم تذروه الرياح، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾ [سورة الكهف: آية 45]، ولا يبتعد هذا الوصف عن جعل "الحياة الدنيا في بهجتها المعجبة ثم الزوال كمثل مطر أعجب الحرّاث نباته الحاصل بسببه ثم يتحرك إلى غاية ما يمكنه من النمو فتراه مصفر اللون ثم يكون هشيمًا متكسرًا متلاشيًا تذروه الرياح"<sup>3</sup>، فقال سبحانه وتعالى: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيْجُ فَتَرَهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُوْنُ حُطْمًا﴾ [سورة الحديد: آية 20]. وبالمحصلة

3 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 19، ص 164

لا يبقى منها شيء وينفذ وينتهي كل ما فيها فقال سبحانه وتعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [سورة النحل: آية 96].

لقد تميزت الحياة الدنيا بالحركة والتغير والتبدل. وبتوقفها عن الحركة فإنه سينتهي كل شيء الى فناء وزوال وعدم بقاء. خذ مثلاً توقف حركة الأرض حول الشمس عندئذ يتعرض نصفها المقابل الى الشمس لنهار دائم والنصف الآخر لليل دائم وما سيرافق هذا التوقف. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة القصص: آية 71-72].

وسنوضح في الفصول التالية على الصورة اللحظية التي رسمها القرآن الكريم لانتهاج الموجود. ولكن قبل ذلك علينا أن نمر ببعض المقدمات.

## الفصل 1: الحركة في الموجود

يترتب على الزمن كل من الحركة والفعل ورد الفعل وما يتصل بهما. ويحدد عامل الزمن في وجودنا على الأرض من ارتباطها بالشمس كدالة على ذلك. ونعلم أن من بين الحركات حركة الأرض حول الشمس وحول نفسها، وبسرعة ثابتة<sup>4</sup> وكذلك حركة الشمس الدائبة

---

4 سرعة الأرض عند خط الاستواء 464 متر بالثانية. فمحيط كوكب الأرض من خط الاستواء = 40070 كيلومترا (24898 ميل)، وطول اليوم يبلغ 24 ساعة. بالتالي بقسمة المحيط على طول اليوم، يمكننا أن نستنتج انه تبلغ سرعة الأرض عند خط الاستواء ما يقرب حوالي 1670 كم/ساعة (1037 ميل) وهذه ليست نفس السرعة عند خطوط العرض الأخرى.



التي تجري وتنتقل من مكان لآخر فتتحرك متسارعة نحو مستقرها<sup>5</sup> وعندئذ يتوقف سيرها في زمان ومكان محددين، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا﴾ [سورة يس: آية 38]. وأصبح لكل من الشمس والقمر مسارا وفلكا خاصا بهما ويتحدد من خلالهما وضع كل واحد نسبة للآخر. فالليل هو الظل المخروطي الملازم لوجه الأرض المخالف للشمس، والنهار وهو خلاف الليل يعني الوجه المقابل للشمس، ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة الأنبياء: آية 33]، وهذه الحركة تؤثر في نظام الليل والنهار حيث يزيد هذا وينقص ذلك وبالعكس بحسب الفصول المختلفة وبقاع الأرض المتفرقة، وما ينقص من الليل يدخل في النهار وما ينقص من النهار يدخل في الليل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [سورة لقمان: آية 29].

## الفصل 2: تراتبية الزمن للعوالم الوجودية

الزمن مرهون فقط - كما هو معلوم - بالعوالم السفلى وهي الدنيا أو ما يسمى بالناسوت<sup>6</sup> وينعدم بالمراتب العليا المعرف بواجب الوجود وهو الله سبحانه وتعالى ويسمى باللاهوت<sup>7</sup>.

5 إن الشمس تجري نحو نجم النسر الواقع Vega، في مجرة درب التبانة.

6 الناسوت: Human nature، وتطلق أيضا على عالم الشهادة أي الدنيا. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، (ت: بعد 1158هـ)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1996

7 اللاهوت: في الأصل لا هو إلا هو، وحرف التاء زائدة عن قواعد العربية

"أن ذات الله وهو الوجود غير المحدود والمستقل بقطع النظر عن الصفات ويسمى (غيب الغيوب) ومع أخذ صفاته الكمالية - التي لا تنفصل عن ذاته بل هي عين ذاته - يسمى باللاهوت كما أسلفنا. والوجود المتأخر عن ذات الله وصفاته وهو عالم العقل ويسمى بالجبروت<sup>8</sup>، وما تأخر عنه من عالم النفوس الكلية يسمى بالملكوت<sup>9</sup>. وما هو أدنى منه مرتبة من عالم الطبيعة والمادة سماوياً كان أو أرضياً يسمى بالناسوت ولعالم الناسوت بشكل عام مرتبتان مرتبة القوة والاستعداد، ومرتبة الفعلية: والمراد من الفعلية صور العناصر والمركبات، من قبيل المعادن والنباتات والحيوانات والإنسان، التي يظهر كل واحد منها في حد خاص وله أثر مخصوص، والمراد من القوة: الهولي<sup>10</sup> والمادة الأولى مما ليس له فعلية والذي يعد أساساً لكل الصور، ويقبل الصور المختلفة بفعل الحركة والتغيير في المسيرات المتنوعة.<sup>11</sup>"

---

8 الجبروت: The all -mighty constrain، وهو عدا الملكوت. وعند الصوفية عبارة عن الذات القديمة وهي صيغة المبالغة بمعنى الجبر. والجبر إما بمعنى الإجماع من قولهم جبرته على الأمر جبراً أو أجبرته أكرهته عليه، وتدعى مرتبة الصفات بالجبروت. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، (ت: بعد 1158هـ)، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، 1996.

9 الملكوت: Spiritual Kingdom، الملكوت بفتحين صيغة المبالغة بمعنى الملك والملك هو التصرف الصحيح بالاستعلاء، فالعبد له فيه اختيار ما دام في هذا العالم، وهي مرتبة الأسماء

10 الهولي: لفظ يوناني، بمعنى الأصل والمادة. وفي الاصطلاح: هي جواهر في الجسم قابلة لما يعرض لذلك الجسم من الاتصال، والانفصال، محل للصورتين: الجسمية، والنوعية، فالخشب هولي الكرسي؛ والفضة هولي الخاتم. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، 1983.

11 من المبدأ الى المعاد في حوار بين طالبين، حسين علي منتظري، مؤسسه تحقيقات ونشر معارف اهل البيت (ع)، إيران، ص 70.

فالحركة إنما هي في عالم الشهادة، وهي حركة انتقالية. وقد فسر الفيلسوف ابن سينا علّة الحركة الى ثلاث فقال: "فأسبابها ثلاثة: قسر، وطبيعة، وإرادة، والطبيعة نفسها ليست تكون علّة حركة مالم يقترن بها أمر بالفعل. أما الحركة الإرادية فإن عللها أمور إرادية كلية ثابتة، ولا يجوز أن يلزم عن علّة ثابتة أمر غير ثابت. أما الحركة القسرية: فإن كان المحرك يلزمها فعلتها حركة المحرك وأفعاله، وعلّة عليتها آخر الأمر طبيعة وإرادة؛ فإن كلّ قسر ينتهي الى طبيعة أو إرادة؛ فإن القوة القسرية حالها في إيجاب الحركة بتجدد الأيون (جمع أين) عليها حال الطبيعة الى أن تبطل، وإن الحركة أمر يحدث دائماً، وكل حادث فله علّة محدثة، فكل حركة لها علّة محدثة، وهذا هو المحرك"<sup>12</sup>.

### الفصل 3: معنى الحياة

لنبدأ بتعريف الحياة من تعريف نقيضها وهو الموت الذي يعرّف كما يلي: والموت لغوياً كما جاء في لسان العرب "يقع على أنواع بحسب أنواع الحياة، فمنها: ما هو بإزاء القوة النامية الموجودة في الحيوان والنبات، كقوله تعالى: ﴿فِيحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الروم: آية 24]، ومنها: زوال القوة الحسّية، كقوله تعالى: . حاكياً قول مريم عليها السلام ﴿يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا﴾ [سورة مريم: آية 23]، ومنها: زوال القوة العاقلة، وهي الجهالة، كقوله تعالى:

---

12 المبدأ والمعاد، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1998، فصل 20-22، وفصل 25

﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الانعام: 122]، و﴿إِنَّكَ لِاتَّسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ [سورة النمل: 80]، ومنها: الحزن والخوف المكدر للحياة ، كقوله تعالى: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [سورة إبراهيم: 17]. وقد يستعار الموت للأحوال الشاقة، كالفقر والذلّ، والسؤال والهزم، والمعصية<sup>13</sup>.

والموت أيضا "كل ما سكن فقد مات حتى يقال مات الحر ومات البرد"<sup>14</sup>، وإن الموت جاء في القرآن الكريم للنفس فقط ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>15</sup>، وقد يكون تعبيرا لانعدام الحياة للنبات والحيوان معبرا عنه بجفاف الأرض وخرابها فتصبح ميتة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة البقرة: آية 164]، وكذلك في الآية الشريفة: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [سورة البقرة: آية 259].

أما إذا قلنا نقيض الحياة هو الفناء: فالفناء: "نقيض البقاء"<sup>16</sup>، كما في الآية الشريفة: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: آية 26]، لاحظ معي أن الآية تشير الى ﴿مَنْ﴾ فهي تتكلم عن فناء العقلاء معبرا عنهم بـ (مَنْ) وليس (ما)، وذلك لأن (مَنْ) هي للعقلاء. وذلك

---

13 لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر-بيروت، 1414هـ، ج 14 مادة موت  
14 المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، 1996 ج 2، ص 8  
15 [سورة آل عمران: آية 185]، [سورة الأنبياء: آية 35]، [سورة العنكبوت: آية 57]  
16 تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الربيدي (ت 1205هـ)، دار الهداية.

لأن "المنتفع بالتخويف هو العاقل فخصه تعالى بالذكر، ومع ذلك فإن كل ما على وجه الأرض مع الأرض فإن<sup>17</sup>، و " (مَنْ) هو للتغليب، أو من الثقلين - الجن والإنس - ﴿فَإِنْ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ﴾ ذاته ولو استقرأت جهات الموجودات وتفحصت وجوهها وجدتها بأسرها فانية في حد ذاتها إلا وجه الله أي الوجه الذي يلي جهته<sup>18</sup>. " وإذا ثبت ذلك وكانت الجواهر لا تفنى إلا بفناء يضادها على الوجود، فإذا وجد الفناء انتقت الجواهر كلها، لأنها اختصاص له بجوهر دون جوهر، فالآية دالة على عدم جميع الاجسام<sup>19</sup>. وأن فناء الدنيا كلها إنما هو بفناء أجزائها.

"فلاستعمال في الجميع بأصل واحد. وقد استعمل القرآن لفظ الموت بهذا الملاك، مثلاً يقول: ﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ﴾ [سورة يس: آية 33]. ويقول في الأصنام: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾ [سورة النحل: آية 21]. ويطلقه على المراحل المتقدمة من خلق الإنسان، فيقول: ﴿وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [سورة البقرة: آية 28]. فترى في الجميع نوع ذهاب وزوال، الأرض، أو للقدرة على الحركة والتكلم، كما في الأصنام، وغير ذلك<sup>20</sup>.

17 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة. ج 15، ص

18 تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد

الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، 1418 هـ. ج 5، ص 77

19 التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ)، ج 9، ص 471

20 الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، حسن محمد مكي العاملي، مطبعة القدس، إيران، 1412،

ويفهم من كل ذلك أن "الحياة والموت المشهودين في هذه الموجودات الحية الشاعرة المريدة، فإن هذه الحياة المجهولة لكنه لا يستطيع أن يوجد لها إلا من هو واجد لها، فلا يمكن أن يعلل بالطبيعة الجامدة الفاقدة لها، ولا بشيء من هذه الموجودات الحية، فإن حياتها هي وجودها، وموتها عدمها، والشيء لا يقوى لا على إيجاد نفسه ولا على إعدام نفسه"<sup>21</sup> وفي هذا المجال قال سبحانه وتعالى: ﴿إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [سورة البقرة: آية 258]. نعم؛ وبكل تأكيد فإن الله سبحانه هو المبدع وهو المبدئ وهو الذي يسلب الحياة، قال تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾<sup>22</sup>.

وأما الحياة فقد عرّفت قرآنيا على أنها كما يلي: "الأول: للقوة النامية الموجودة في النبات والحيوان، ومنه قيل: نبات حي، قال عز وجل: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [سورة الحديد: آية 17]. وقوله تعالى: ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلَدَةً مَيِّتًا﴾ [سورة ق: آية 11]، وقوله ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا﴾ [سورة الأنبياء: آية 30]. الثانية: للقوة الحساسة، وبه سمي الحيوان حيوانا، قال عز وجل: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْواتُ﴾ [سورة فاطر: آية 22]، الثالثة: للقوة العاملة العاقلة، كقوله تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام: آية 122]، والرابعة: عبارة عن ارتفاع الغم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [سورة آل عمران: آية 169] أي: هم متلذذون،

21 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 2، ص 351  
 22 [سورة البروج: آية 13]، [سورة يونس: آية 4]، [سورة يونس: آية 34]، [سورة النمل: آية 64]، [سورة العنكبوت: آية 19]، [سورة الروم: آية 11]، [سورة الروم: آية 27]

لما روي في الأخبار الكثيرة في أرواح الشهداء. والخامسة: الحياة الأخروية الأبدية، وذلك يتوصل إليه بالحياة التي هي العقل والعلم، قال الله تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [سورة الأنفال: آية 24]، وقال تعالى: ﴿يَقُولُ يَلَيَّتَنِي قَدَمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [سورة الفجر: آية 24]، والسادسة: الحياة التي يوصف بها الباري، فإنه إذا قيل فيه تعالى: هو حي، فمعناه: لا يصح عليه الموت<sup>23</sup>، ليس ذلك إلا لله عز وجل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾<sup>24</sup>.

"لكنها في نظر علماء الطبيعة تلازم الآثار التالية في الموصوف بها:

ال جذب والدفع، والنمو والرشد، التوالد والتكاثر، والحركة وردة الفعل. وهذا التعريف للحياة إنما يشير إلى آثار الحياة لا إلى بيان حقيقتها، وهي آثار مشتركة بين أفراد الحي ومع ذلك كله نرى البعد الشاسع بين الحياة النباتية والحياة البشرية. فالنبات الحي يشتمل على الخصائص الأربع المذكورة، ولكن الحياة في الحيوان تزيد عليها بالحس والشعور وهذا الكمال الزائد المتمثل في الحس والشعور لا يجعل الحيوان مصداقاً مغايراً للحياة، بل يجعله مصداقاً أكمل لها. كما أن هناك حياة أعلى وأشرف وهي أن يمتلك الكائن الحي مضافاً إلى الخصائص الخمس، خصيصة الإدراك العلمي والعقلي والمنطقي<sup>25</sup>

23 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009

24 [سورة البقرة: آية 225]، [سورة آل عمران: آية 2]

25 مفاهيم القرآن، جعفر سبحاني، مؤسسة الإمام الصادق (ع)، ج 6، ص 203

وهنا أقف عاجزا حيال هذه التعريفات للحياة لأنها لا تشتمل على من هو دائب في حركته وينتقل في حركته ويغيّر موضعه كالنجوم والكواكب وغيرها. فهذه الأجرام تهتز وتدور وتنتقل، وتتوالد وتكبر وتهرم وتموت أيضا. فكلها في حركة مستمرة مادامت السماوات والأرض تماما كالإلكترون فماذا نطلق عليها؟

دعنا نأخذ الشواهد القرآنية لتوصيف أفعال الأشياء التي لا تصنف ضمن - الكائنات الحية- كما دأب الإنسان على تصنيفها. بينما هي كلها تشير الى نوع من الإفاضة التي توحى بما أسميه (بالحياة): المعرفة بالحركة الذاتية.

## أفعال الأشياء دليل حياتها

### 1. تسبيح الأشياء

لقد وصف العلامة الطباطبائي تسبيح الأشياء، وهذا التسبيح مرتبط بالدلالة الذاتية العقلية، قائلا: "أن الأشياء (قاطبة) مسبحة بحمده بوجوداتها القائمة به تعالى المعتمدة عليه، وهذا تسبيح ذاتي منهم ودلالته دلالة ذاتية عقلية غير مرتبطة بالدلالات اللفظية"<sup>26</sup>، مفسرا الآية الشريفة ﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾ [سورة الرعد: آية 13]، ويقول: "وكما أن إظهار هذه الأشياء لنفسها في الوجود إظهار لحاجتها ونقصها وكشف عن تنزه ربها عن الحاجة والنقص، وهو تسبيحها كذلك إبرازها لنفسها إبرازاً لما عندها من جميل فعل ربها الذي وراءه جميل

---

26 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 11، ص 323



صفاته تعالى فهو حمدها فليس الحمد إلا الثناء على الجميل الاختياري فهي تحمد ربها كما تسبحه<sup>27</sup> وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿تَسْبِحُ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [سورة الإسراء: آية 44]. وإذا كان التسبيح هو تنزيه الشيء ونسبته إلى الطهارة والنزاهة من العيوب والنقائص، فهذا جاء التعبير بالمضارع للدلالة على الاستمرار في الآية الشريفة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾<sup>28</sup>. فالتنزيه مستمر منذ خلقت السماوات والأرض إلى يوم زوالهما. فبأي إطار نضع استمرارية التنزيه كما هي استمرارية حركتها؟

## 2. معرفة الأشياء

بالإضافة للصفة العقلية للأشياء فإن صدر المتألهين قد أعطى المعرفة لهذه الموجودات فقال: "وَأَنَّ كُلَّ مَوْجُودٍ عَلَى حَسَبِ وُجُودِهِ عَارِفٌ بِرَبِّهِ الْمُتَّصِفُ بِصِفَاتِ الْجَمَالِ، الْمُنزَّهٌ عَنِ نِقَائِصِ الْإِمْكَانِ وَالزُّوَالِ، وَمَنْ عَرَفَ اللَّهَ فَلَا مَحَالَةَ يَسْبِحُهُ وَيَقْدِّسُهُ وَيَنْزِّهُهُ بِلِسَانِ الْحَالِ أَوْ الْمَقَالِ أَوْ الْفِعَالِ، فَكُلَّ مَوْجُودٍ يَسْبِحُ بِحَمْدِهِ إِلَّا مَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الْوَهْمُ الْمَغْيِرُ لِخَلْقِ اللَّهِ."<sup>29</sup> ، فبأي إطار نضع معرفتها بالله كما هي استمرارية تنزيهها وحركتها؟

---

27 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 13، ص 111

28 [سورة الجمعة: آية 1]، [سورة التغابن: آية 1]

29 تفسير القرآن الكريم، صدر المتألهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت 1059 هـ)، دار

الإيمان، قم، ج 7، ص 146

### 3. سجود الأشياء

وهذه الأشياء تسجد لله خضوعاً وتذللاً ومنها الدواب وهي ليست فقط التي تدبّ على الأرض بل أن " في ذلك من التلويح إلى أن ما نسب إليهم في كلامه تعالى من النزول والصعود والذهاب والمجيء مما ظاهره النقلة والحركة المكانية ليس من نوع ما للدواب من الدبيب والانتقال المكاني ما لا يخفى"<sup>30</sup>، التي ورد ذكرها في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ﴾ [سورة النحل: آية 49]. فإن جميع ما في العالم من المخلوقات حتى نفس السماوات والأرض تسجد لله سبحانه وتعالى سجوداً ذاتياً، قال تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الحشر: آية 24]. فبأي إطار نضع استمرارية سجودها الذاتي كما هي استمرارية تنزيهاً ومعرفتها بالله وحركتها؟

### 4. خشوع الأشياء

بالإضافة لما مر أعلاه فإنها تخشع. والخشوع هو التذلل والخضوع، فيقول الله سبحانه وتعالى وإن كان الكلام مسوقاً سوق المثل مبني على التخيل على إمكانية خشوع الجبل فيما أنه لو جعل في الجبل عقل ثم أنزل عليه القرآن لخشع وخضع، ولأنقاد لمواعظه، وتشقق من خشية الله، "حذراً من عقابه، وخوفاً من ألا يؤدي ما يجب عليه من تعظيم كلام الله"<sup>31</sup>، ﴿لَوْ

---

30 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 14، ص 266

31 فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250 هـ)، دار ابن كثير، دار

الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414 هـ، ج 5، ص 246

أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴿سورة الحشر: آية 21﴾.  
وخشوع الأرض أيضا ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْتَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً﴾ [سورة فصلت: آية 41]. فبأي  
إطار نضع استمرارية خشوعها كما هي استمرارية سجودها الذاتي وتنزيهاها ومعرفتها بالله  
وحركتها؟

### 5. توحيد الأشياء لله

إن السماوات والأرض وغيرهما من أشياء توحده تعالى وتسبح بحمده، وقد قال تعالى:  
﴿يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [سورة الحشر: آية 24]، و "إن السماوات والأرض  
وغيرهما ناطقة بالتوحيد فعلاً متلبسة به. فما منها إلا مؤمن مطيع. بل وهي تأبى أن تخون  
الأمانة. أمانة ارجاع الولاية الإلهية لعدم استعدادها، وإشفاقها منها لعدم اشتغالها على صلاحية  
التلبس وتجافيتها عن قبولها فأبين حملها"<sup>32</sup>. قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [سورة الأحزاب: آية 72]. فبأي إطار نضع  
استمرارية توحيدها لله كما هي استمرارية خشوعها وسجودها الذاتي وتنزيهاها ومعرفتها بالله  
وحركتها؟

---

32 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 16، ص 350

## 6. نطق وشهادة الأشياء

وتستوجب الشهادة القدرة على النطق أو التكلم أو أي أسلوب آخر لإظهار المستور. هذا من جهة وجهة أخرى القدرة على الإفصاح عن حقيقة وعلم وكلاهما لا يحتاجان الى الكذب والتزوير. ولقد تكلم القرآن عن شهادة الأشياء بآيات عديدة<sup>33</sup>، كما يقول سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سورة النور: آية 24]. ولأن الله هو خالقها فهو القادر على أن يجعلها تنطق بالشهادة وأنه "لا دليل على فقدان الأشياء غير ما استثنيناه للشعور والإرادة سوى أنا في حجاب من بطون ذواتها لا طريق لنا إلى الاطلاع على حقيقة حالها"<sup>34</sup>. ويذهب الرازي كذلك في هذا الرأي فيقول: أن "البنية ليست شرطاً للحياة ولا للعلم ولا للقدرة، فالله تعالى قادر على خلق العقل والقدرة والنطق في كل جزء من أجزاء هذه الأعضاء"<sup>35</sup>.

وتتجلى حقيقة إدراك الأشياء وعلمها بالله أنه العالم المطلّ عالم الغيب والشهادة وأنه لا تغيب عليه غائبة، فيقول عن نفسه سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [سورة البقرة: آية 33]، ولذلك فإنها لا تتستر على ما تعلم فتتطرق "بمعناه الحقيقي"<sup>36</sup>، قال تعالى: ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة

---

33 [سورة النور: آية 24]، [سورة فصلت: آية 20]، [سورة فصلت: آية 21 - 21]

34 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 17، ص 381  
35 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة، ج 27، ص

36 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 17، ص 381

فصلت: آية [21]، "فأوجب نطقها وكشف عن العلم المدخر عندها المكنون في ضميرها فهي ملجأة إلى التكلم والنطق، ولا يضر ذلك نفوذ شهادتها وتمام الحجة بذلك فإنها إنما أُلجئت إلى الكشف عما في ضميرها لا على الستر عليه والإخبار بخلافه كذباً وزوراً حتى ينافي جواز الشهادة وتمام الحجة"<sup>37</sup>. فالله سبحانه يتحدث عن أن الأرض ستدلي بشهادها أيضاً ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [سورة الزلزلة: آية 4]. قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ قال: ﴿أتدرون ما أخبارها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم قال: فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها أن تقول: عمل كذا وكذا في يوم كذا وكذا فهذه أخبارها﴾<sup>38</sup>. هذا يعني أن "الأرض شاعرة بما يقع فيها من الأعمال خيراً وشرها متحملة لها يؤذن لها يوم القيامة بالوحي أن تحدث أخبارها وتشهد بما تحملت، وأن الحياة والشعور ساريان في الأشياء وإن كنا في غفلة من ذلك"<sup>39</sup>. فبأي إطار نضع إدراكها وشهادتها وشعورها كما هي استمرارية توحيدها لله سبحانه وخشوعها وسجودها الذاتي وتنزيهاها ومعرفتها بالله وحركتها؟

على أي حال فإن تنزيه الموجودات لله ودوام حركتها ومعرفتها بكمال خالقها وسجودها لله سبحانه وتعالى ذلك لأنها عالمة وعارفة، وشاعرة وحية ومريدة أيضاً. كل ذلك لما أفاض

37 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 17، ص 380

38 الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي،

أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988. ج 16، ص 360

39 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 20، ص 342

الله عليها من عناية، "لأن أنفُس الأجرام السماوية عالمةٌ بما تفعل علما كلياً أو جزئياً، وعالمة بما يلزم أفاعيلها. وأنه سبحانه لما كان علمُ الحق الأول بنظام الخير في الوجود علما لا نقص فيه وكان ذلك سببا لوجود ما هو علم به حصل الكلّ في غاية الإتقان، لا يمكن أن يكون الخير فيه إلا على ما هو عليه، ولا شيء مما يمكن أن يكون للكلّ إلا وقد كان له. وهذا الذي يسميه الأوائل عناية"<sup>40</sup>. هذه العناية التي سماها ابن سينا هي ذاتها التي عبر عنها القرآن الكريم بالهداية والتي اصطلح عليها عقديا بالهداية التكوينية، فقال سبحانه وتعالى ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه: آية 50]، وأن "هداية كل شيء إلى مطلوبه، ومطلوبه هو الغاية التي يرتبط بها وجوده وينتهي إليها والمطلوب هو مطلوبه من جهة خلقه الذي أعطاه، ومعنى هدايته له إليها تسييره نحوها كل ذلك بمناسبة البعض للبعض. وإلقائه الرابطة بين كل شيء بما جهز به في وجوده من القوى والآلات وبين آثاره التي تنتهي به إلى غاية وجوده"<sup>41</sup>. وقال جل وعلا: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [سورة الأعلى: آية 3]، ويأتي ذلك من تقدير الله وهدايته لكل شيء. و"جعل الأشياء التي خلقها على مقادير مخصوصة وحدود معينة في ذواتها وصفاتها وأفعالها لا تتعداها وجهزها بما يناسب ما قدر لها فهداها إلى ما قدر فكل يسلك نحو ما قدر له بهداية ربانية تكوينية"<sup>42</sup>.

40 المبدأ والمعاد، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1998، فصل 10، فصل 11، ص 87-91

41 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج14، ص 166

42 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ) ج20، ص 265

## الفصل 4: الحركة والتكامل

من المعلوم أن هناك ترابطاً بين الحركة والتكامل. حيث يقضي قانون الحركة والتكامل بأن يكون الانتقال من القوة إلى الفعل، على أن الفيض اللاحق أكمل من الفيض السابق كما يعبر عنه. وهذه الحركة التكاملية بحاجة إلى علة، فالتقدم والتكامل في سلم النمو والحركة، لا يمكن أن يصدر عفويًا، فهو تكامل هادف، ويستحيل أن يتحقق من دون توجيه وتخطيط من مبدأ الكمال ومصدره وهو الله جل شأنه.

وإنني أرى أنه لا يوجد مخلوق ممكن الوجود في هذا الكون ساكنًا وبدون حركة. إذ أن بهذه الحركة أصبح الموجود قائمًا، وبغيابها يصبح هباءً منثورًا لا أثر له. وسأقف على هذا التصور على انفراد إن شاء الله.

## الفصل 5: الحركة الجوهرية

الحركة الجوهرية كما عرفها الفيلسوف صدر المتألهين، هي أن كل شيء يتحرك في ذاته كما يتحرك في الخارج بحركة وضعيّة أو انتقالية فهذه الحركة الذاتية تسمى بالحركة الجوهرية. فاعتبر أن جميع الحركات ترجع إلى الحركة الجوهرية التي هي حركة استمداد وجودية من واهب الوجود سبحانه وتعالى والتغيرات الكمية التي تترتب على التغيرات الكيفية

او بالعكس لم تكن لتتم لو لم يكن لها استناد الى الحركة الجوهرية. وهو ذات المفهوم الذي اعتمده من عدم وجود (موت) بمعنى ثبات وسكون الحركة في هذا الكون وهذا الموجود-كما أسلفت- قبل الموت الأخير في التمهيد للنشر والقيامة.

إن أول شخص طرح هذه النظرية بشكل تفصيلي استدلالى هو صدر الدين أو صدر المتألهين الشيرازي<sup>43</sup> حيث قال : "إن كل ذرات الكائنات وعالم المادة في حركة دائبة، أو بتعبير آخر: إن مادة الأجسام وجود سيال متغير الذات دائماً، وفي كل لحظة له وجود جديد يختلف عن الوجود السابق له، ولكون هذه التغيرات متصلة مع بعضها فإنها تحسب شيئاً واحداً، وبناء على هذا فإن لنا في كل لحظة وجوداً جديداً، إلا أن هذه الوجودات متصلة ومستمرة ولها صورة واحدة، أو بتعبير آخر: إن المادة لها أربعة أبعاد: طول وعرض وعمق وأما البعد الآخر فهو ما نسميه (الزمان) وهذا الزمان ليس بشيء إلا مقدار الحركة في

---

43 الشيخ صدر الدين محمد بن إبراهيم بن يحيى القوامي الشيرازي المعروف بملاً صدرا، أو صدر المتألهين (ت 1050هـ)، من مؤلفاته: الحكمة المتعالية في الأسفار الأربعة العقلية، والشواهد الربوبية في المناهج السلوكية، والمبدأ والمعاد، ورسالة المشاعر، والحكمة العرشية، والمظاهر الإلهية في أسرار العلوم الكمالية، ومفاتيح الغيب، وكسر أصنام الجاهلية، ورسالة في حدوث العالم، ورسالة طرح الكونين، ورسالة في اتصاف الماهية بالوجود، ورسالة خلق الأعمال، ورسالة في القضاء والقدر، ورسالة في التشخيص، ورسالة في التصور والتصديق، ورسالة الواردات القلبية في معرفة الربوبية، ورسالة في اتحاد العاقل والمعقول، التفسير الكبير، متشابه القرآن، وغيرها كثير.



الجوهر<sup>44</sup>. وبالمناسبة فإن صدر المتألهين بكلامه هذا قد سبق أينشتاين بطرحه بُعد الزمن ويمكن مراجعة ذلك أكثر من مضانه.

وقد ذهب أحدهم في تفسير مرور الجبال كالسحاب في الآية: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: آية 88]، الى الحركة الجوهرية للجبال فقال: "أن الأشياء كالجبال تتحرك بجوهرها إلى غاية وجودها وهي حشرها ورجوعها إلى الله سبحانه"<sup>45</sup>.

وهذا يدفعني الى التفكير عميقا في جوهر أو ماهية الحركة الجوهرية للمادة وما حقيقتها؟ واني أذهب معتقدا أنها تنطلق تماما من حركة الإلكترون، ابتداء كمنطلق لتكوين الجزيئات والمركبات والمواد الملموسة والمحسوسة في وجودنا. فهي الحركة الجوهرية المتوفرة في كل شيء في الموجود المادي. وهي الحركة القائمة من بداية الخلق الى انتهائه. ولا أجد مصطلحا يناسبها ليعمم على الموجودات كلها عاقلها وغيرها. فإن قلت روحا فإني سأصطدم بالتصنيفات التي وضعها الفلاسفة والمشتغلون بالجانب العقائدي والبيولوجي، وغيرهم. لقد اصطلحوا على بعض الكائنات الحية ونزعوها من النباتات والجمادات. ثم أودعوها في بعضها على مراحل متدرجة وليست دفعية كما في الإنسان بعدما تجتمع النطفة بالبويضة مستندين

---

44 الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005. ج 17، ص 404 - 405.

45 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 15، ص 402

لآية الشريفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٩٠﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِ﴾

[سورة السجدة: آية 8-9]. وقالوا إن الحياة هي ليست الروح فالنبات له حياة وليس روح.

وقال آخر في تشخيص الفرق بين الروح والحياة "أن الروح من قرائن الحياة، والحياة

عرض. والروح جسم رقيق من جنس الريح وهو جسم رقيق حساس"<sup>46</sup>.

وأضيف للتمييز بينهما أن هناك حياتان مستمرة ومستقرة. "فأما المستمرة فهي الباقية إلى

انقضاء الأجل بموت أو قتل. والحياة المستقرة هي أن تكون الروح في الجسد ومعها الحركة

الاختيارية دون الاضطرارية. وضابطها أي الحياة المستقرة أن يكون فيه حركة اختيارية وتعرف

بانهيار الدم أو بالحركة العنيفة أو بهما"<sup>47</sup>. وأيا كان فهناك حركة ونشاط وقد سميت بأسماء

مختلفة. فالروح هي المسؤولة عن العمليات الحيوية. وبسببها تتوقف تلك العمليات الحيوية،

ولكن لا يتحقق الموت الكامل، وما يطلق من لفظ الموت إنما هو نقيض الحياة وهما اللفظان

المتداولان.

خذ مثلا عن تمثيل الروح في العمليات الحيوية. فالنشاط الكيميائي الحيوي، الذي يعبر

عن حيوية كل خلية في الكائن الحي، فإنه يتم تحت سيطرة الحامض النووي "دي إن

---

46 الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت

395هـ)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة. ج 1، ص 103

47 حاشية الجمل على المنهج لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، سليمان بن عمر بن منصور العجيلي

الأزهري، المعروف بالجمل (ت: 1204هـ)، دار الفكر. ج 10، ص 344

إيه، DNA<sup>48</sup> والذي يتواجد داخل نواة الخلية في أي كائن حي علي وجه الأرض، ودعنا نقول إنه يعتبر بذرة الحياة الأولى.

وقد وجد أن -مادة الحياة- في سائر المخلوقات (ما تسمى بالكائنات الحية) تشترك في أنها تتألف من نفس العناصر التي نراها من حولنا في التراب مثل الكربون، والهيدروجين، والأكسجين، والنتروجين. ولكن بنسب مختلفة. والغريب أن كلتا الخليتين الحية والميتة تحتويان على نفس العناصر الكيميائية ولكن بموت الخلية يتوقف "الذي أن إيه" عن إعطاء الأوامر لاستمرار العمليات الكيميائية، فالسّر في التحريك والأوامر الكيميائية في الاستمرار بالنشاط هو المشترك بين الميت والحي، ﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [سورة آل عمران: آية 27]. وأرجو الانتباه أن بموت الخلية أي بتوقف الأوامر التي تحدث الفعاليات الحيوية، فإنه سيبقى جزيء "الذي أن إيه" قائماً، لكنه لا يعمل. والذي أودّ الإشارة

---

48 الذي أن إيه (DNA) هو العماد الأساسي للكائنات الحية ووجود الحياة على الأرض. إذ أنه يمكن أن يكرر نفسه، أي يصنع مثيلاً له. وهو الذي يحتوي على التعليمات الجينية التي تصف التطور البيولوجي للكائنات الحية ومعظم الفيروسات؛ كما أنه يحوي التعليمات الوراثية اللازمة لتكوين أعضاء الجنين سواء في الرحم أو البيضة أو النبات، أي لكل الكائنات الحية. يعتبر وسيلة التخزين الطويل الأجل للمعلومات الوراثية وهي الوظيفة الأساسية لجزيئات (الذي أن إيه)، بالإضافة إلى أنه يمكن من خلال هذه الجزيئات الحصول على المعلومات اللازمة لبناء البروتينات والحمض الريبي النووي (بالإنجليزية: RNA). تسمى قطع الذي أن إيه (DNA) التي تحمل معلومات وراثية يمكن ترجمة البروتينات بالموثّرات أو الجينات. تتواجد بعض قطع الذي أن إيه لأغراض تركيبية وتنظيمية. ويمكن تصور أن (الذي أن إيه) عبارة عن مخطوطة، أو برمجة سافتوير، موجودة في نواة خلية. واللغة المكتوبة بها تتكون من أربعة حروف. والجملة المكونة من عدة كلمات منها تعرف بأنها (جين). وكل (جين) يتكون من مئات أو آلاف الحروف. وجميع الوظائف التي تؤديها الخلية فهي تنظم عملها وفقاً لترتيب الشفرة المكتوبة بالحروف الأربعة في هذا المخطوط. <https://ar.wikipedia.org>

اليه أن الروح التي كانت في جزيء (الذي أن إيه) تتجز الفعاليات الحيوية وبسلبها تتوقف تلك الفعاليات ولكن الجزيء يبقى كمركب كيميائي بالمفهوم الجديد للحياة غير ميت بل ذو حركة جوهرية دائمة بوجوده كمركب قائم. إذ لولاها لما استقر كمركب موجود. فهو حي بحركة الكترونات ذراته المختلفة ﴿لَيَقْضِيَّ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [سورة الأنفال: آية 42]

فهذا المركب الكيميائي للقيام بدوره وهو حي (الروح فيه) يختلف تماما فيما لو صنعته كيميائيا (لا روح فيه) فإنه لن يعمل ولا ينقل المورثات. فماذا نسمي هذا السر؟ لا بأس لنسمه بالحياة المستمرة التي تنتهي بسلبها وهو الموت بتوقفه وليس بهلاكه وتفتته الى أجزائه. ثم لا يمكن أبدا أن ترتبط العناصر المكونة (للدي أن أي) المكون الأساس للحياة إلا من خلال الروابط أو الأواصر الكيميائية التي هي بدورها مكونة من اشتراك إلكترونات لكل رابطة بين ذرتين وهذان الإلكترونان ناشطان متحركان دائما ما دامت السماوات والأرض. ألا تعد هذه الحركة حياة مستمرة؟

## الفصل 6: حركة الإلكترون

علمنا أن لا حركة ذاتية من غير مسبب، وأن الثابت لا يسبب في حركة متحرك، وكما نعلم أن الطاقة محفوظة لا تستحدث بل يمكن نقلها من صورة الى أخرى ولا يمكن عدمها على أن يكون ذلك في نظام معزول وهو ما اصطلح عليه قانون الديناميكا الحرارية (Thermodynamics).

وأن الإلكترون يدور حول النواة بسرعة ثابتة وبطاقة محددة حسب نظرية بور<sup>49</sup>. وفيما بعد تطور المفهوم في نظرية الكم ليصبح سحابة إلكترونية. وقال العلماء أنه يشكل سحابة الكترونية بمستوى محدد من الطاقة عن النواة.

والسؤال هنا هو من أين اكتسب الإلكترون طاقة الدوران هذه؟ فيأتي جواب الفيزيائيين أنه طالما أن الإلكترون مشحون بشحنة سالبة فإنه يتأثر كثيرا بالمجال الكهربائي، وبتعبير أدق فإنه يتعجل بهذا المجال، وبما أن له كتلة صغيرة جدا فإنه سيتعجل بسرعات عالية جدا حتى بوجود مجال كهربائي ضعيف جدا. ويشبهون حركته حول النواة تماما كحركة الكواكب حول الشمس. فبينهما تجاذب وللكوكب قوة طاردة تمنعه من السقوط على الشمس. وأن الكوكب ينجذب نحو الشمس لأن كتلته أقل من كتلتها.

وكذلك فإن كتلة الإلكترون أصغر من كتلة النواة. ولالإلكترون كما للأرض دوران حول نفسها ويسمى بالغزل وبعزم زاوي كمي بقيمة  $1/2$  أما باتجاه عقارب الساعة فيكون بقيمة موجبة أو عكس عقارب الساعة فتكون قيمة سالبة. ولكن كيف اكتسب الإلكترون هذا الدوران الذاتي، وكيف اكتسبت الأرض أو الكواكب هذا الدوران الذاتي، أيضا؟ لا أريد أن أخوض في كل الافتراضات العلمية والنظريات. ومهما كانت فالنتيجة أن هناك حركة دورانية للإلكترون

---

49 نظرية بور: في عام 1913 قام العالم الدانماركي نيلز بور بتطوير نظرية، وفيها دمجت أفكار كل من بلانك واينشتاين، مما أكسبته جائزة نوبل عام 1922. وتعد نظريته أول نظرية وضعت لتفسير التركيب الإلكتروني لذرة الهيدروجين، وتنص على أن الإلكترون يدور حول النواة في مدارات محددة دون أن يفقد شيئا من طاقته.

حول النواة مكونا سحابة سالبة الشحنة<sup>50</sup>. ولولا هذه الحركة الدورانية والمتلازمة مع الحركة المغزلية الإلكترونية لما قامت الدنيا على شكلها المحسوس والملموس.

ومن المعلوم أن الذرة هي أصغر جسم في الكون وأنها لا يمكن تكسيرها أكثر مع الإبقاء على صفة المادة قائمة. فخاتم الذهب مثلا يمكن تكسيه الى قطع صغيرة فأصغر الى أن ننتهي بذرات الذهب التي هي ذرات عنصر الذهب، ولا يمكن ان نرى هذه الذرات بالمجهر. ولكن لو تم تحطيم ذرة الذهب الى مكوناتها من نواة والكترونات بعملية تفاعلات نووية فسوف لن تبقى ذرة ذهب، وسوف لا تحتفظ المكونات الجديدة فيما بعد بصفات عنصر الذهب بل سيكون عنصر آخر ومكونات أخرى.

وأن أبسط مركب في الكون كله هو جزيء غاز الهيدروجين. حيث أنه يتكون من اتحاد ذرتي هيدروجين مع بعض وذلك بتكوين رابطة إلكترونية<sup>51</sup> بين الذرتين مكونا جزيء الهيدروجين الغاز الذي يملأ الكون وما بين النجوم، وهو المكوّن الرئيس لشمسنا. هذه الرابطة

---

50 لكل إلكترون على حدة في السحابة الإلكترونية حركة دورانية حول ذرة مفردة (حرة)، ويعبر عنها بدالة رياضية في ميكانيكا الكم. ويعبر عن المدار الذري في ميكانيكا الكم بعدد الكم المداري.

51 تقوم الإلكترونات بتكوين مدار جزيئي بين ذرتين يسمح بتماسك ذرات الجزيء. وأن تفاعلات الإلكترونات فيما بينها تنشأ نتيجة القوة الكهرومغناطيسية حيث تتأثر الإلكترونات (سالبة الشحنة) مع نواة الذرة (موجبة الشحنة) وكذلك تتأثر فيما بينها، فتنشأ الروابط بين الذرتين، وبعض الخصائص الأخرى مثل المغناطيسية. وتكوّن الذرات رابطة في حالة أن تكون طاقتها بعد الارتباط أقل من طاقتها قبل الارتباط. حيث تتحرك الإلكترونات في الذرة والجزيئات في مستويات محددة للطاقة.

ناتجة من مساهمة كل ذرة بالكترون واحد. بسبب غزل كل واحد منهما عكس اتجاه الآخر فإنهما يتجاذبان نتيجة لتكوين مجالين مغناطيسيين متعاكسين وبذلك يتكون الجزيء.

ولك أن تتخيل كيف تكوّن جزيء الماء أو جزيء السكر أو الرمل أو مركبات الصخور وهكذا. فلو توقف هذا الإلكترون عن حركته المغزلية فإنه لا يمكن أن يرتبط مع إلكترون آخر وبذلك لا يتكون جزيء. وهذا يعني أنه سوف لا يوجد ماء ولا غازات ولا صخور ولا جبال ولا شمس ولا أي شيء من الذي تراه اليوم وتحسه وتلمسه. بل سيبقى الإلكترون في ذرته وحيدا وهذه الحالة غير موجودة وإذا وجدت فسيكون عمرها لحظيا. إذ أن كل الكترون له غزل كمي وله قيمة واتجاه وعلى أساس هذا الافتراض تم شرح كل الحقائق الملموسة في حياتنا اليومية وعلى أساسه أيضا يتم تكوين مركبات جديدة من أدوية وأصباغ وصناعات وكل شيء.

والسؤال مرة أخرى لماذا يا ترى تدور الإلكترونات بحركة مغزلية؟

للإجابة عليه نعود الى ما ابتدأنا به الموضوع؛ وقلنا أن لكل حركة محرّك. فحركة الإلكترون حول النواة، أو حركة الكواكب حول شمسها، أو حركة الشمس كلها هل هي ذاتية بنفسها وإرادتها؟

لقد ناقش هذا السؤال الفيلسوف ابن سينا وملخص اجابته أنه قال: "لأن الحركة المستديرة دائمة فلا يجوز أن يتم دوام الحركة المستديرة بهذه القوة النفسانية وحدها. لمقدمتين: إحداهما أنه لا يمكن أن يكون لجسم من الأجسام قوة غير متناهية، والثانية أنه لا يمكن أن تكون قوة متناهية يصدر عنها فعل غير متناه، لأن القوة تقدر بالفعل، وبالعكس. وما كان

فعله غير متناه فهو ذو قوة غير متناهية. وقد بان ووضح أن لهذه الحركة محركا غير متناهي القوة وأنه مباين الذات لكل جرم، فإن هذا المحرك هو غير النفس الذي هو كمال للفلك وقابل للتغير، لأنها قوة جسمانية، وهذا المحرك لا يمكن أن يكون كامالا لجسم ولا قوة في جسم. وتحقيق هذا أن الجرم السماوي يستمد القوة غير المتناهية بما يعقل من الأول ويسنح عليه من نوره وقوته دائما.<sup>52</sup>

ويعود ذلك الإتيان في هذه الحركة الى موجدتها وخالقها، فهذا الإتيان "صادر عن علم الحق الأول بنظام الخير في الوجود علما لا نقص فيه، وكان ذلك العلم سببا لوجود ما هو علم به حصل الكل في غاية الإتيان، لا يكون الخير فيه إلا ما هو عليه، ولا شيء مما يمكن أن يكون للخير إلا وقد كان له"<sup>53</sup>. إن الله سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء على وجه الإتيان والإحكام والاتساق، وقد قال سبحانه: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: آية 88]. فالله هو المحرك، وهو الذي يفيض على الأشياء حركتها ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة يس: آية 79]

فلعدل الله ورحمته أن مدّ الإلكترون بالحركة خيرا منه وكامالا منه سبحانه وتعالى. والسؤال هنا ماذا لو سُلبت هذه الحركة من واهبها؟

---

52 المبدأ والمعاد، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1998، فصل 11، ص 38-44

53 المبدأ والمعاد، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وزارة التراث القومي والثقافة، سلطنة عمان، 1998، فصل 11، ص 88



## الفصل 7: مفهوم الحياة مطلق لكل الأشياء في الكون

علمنا مما سبق أن لا حركة ذاتية من غير محرّك، وأن المتحركات لها إرادة بالطول مع الإرادة الإلهية، مطيعة ومستجيبة له. كما في قوله: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أَنْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَنْتِنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: آية 11]. "وقد تبين أيضاً في المعالم الإلهية إثبات العقل والإرادة للأرض بالبرهان المنور بأنوار القرآن"<sup>54</sup>، واستبشرت فأحيطت ببركة إلهية ومستشركة بنوره ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر: آية 69]. والله سبحانه قد أمدها بالحياة، ﴿إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتَى﴾ [سورة فصلت: آية 39]. والحياة تعني "ومن اكتحلت عين بصيرته بنور الحكمة الحقّة، يعلم أنّ كل جرم فله حياة ونفس وعقل، إذ ما من جسم إلا وله صورة طبيعّية هي مبدأ حركته القريبة، وكلّ جسم من شأنه التفرّق والانقطاع والتكثّر، وعند القطع والتكثير تنعدم ذاته ويزول اتّصاله، وكلّ طبيعة من شأنها الاستحالة والسيلان دائماً. فالنفس الروحانيّة هي علّة اتّصال الأجرام ووحديّته، فالوحدة والاتّصال مستفادان في كل جرم من النفس، وكذا البقاء والاستمرار له لسيلان طبيعته واستحالتها. والنفس لا يتم وجودها إلا بالعقل، لأنها أيضاً من حيث الفعل والتدبير طبيعة، ومن حيث الذات والحقيقة عقل، فثبت أنّ الأرض ذات حياة نفسانيّة، ولها كلمة فعّالة روحانيّة. واستدلّ معلّم أسلاف

---

54 تفسير القرآن الكريم، صدر المتألّهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت 1059 هـ)، دار

الإيمان، قم، ج 7، ص 417

الحكماء - والكلام لصدر المتألهين - على أنّ الأرض ذات حياة بأنّها تنمو وتنبت الجبال - فإنّها نبات أرضي -، وفي داخل الجبال حيوانات كثيرة ومعادن، وإنّما تتكوّن هذه منها لأجل الكلمة ذات النفس فإنّها هي التي تصوّر في داخل الأرض هذه الصورة. وهذه الكلمة هي صورة الأرض الفاعلة فيها هذه الأفاعيل، ولا يمكن أن تكون ميتة وتفعل هذه الأفاعيل العجيبة العظيمة، فإن كانت حيّة فإنّها ذات نفس لا محالة. فإن كانت هذه الأرض الحسيّة حيّة - وهي صنم - فبالحرّي أن تكون الأرض العقليّة حيّة - انتهت حكاية كلامه. أنّ الأعيان الجوهرية دائمة التوجّه إلى الله تعالى توجّهاً معنوياً وحركة ذاتية، وما من جوهر عينيّ له صورة وجودية إلاّ وله هذا السير الحثيث إلى الحضرة الإلهية، وهو أبدأ في الانتقال من صورة إلى صورة، ومن طور إلى طور - حركة رجوعية وسيراً استكمالياً<sup>55</sup> كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنَعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة النمل: آية 88].

فأصبح الآن من الضروري أن أعود الى الفكرة في أن الحياة مطلقة في الكون لكل الأشياء وليست مختصة بما اصطلح عليه بالكائنات الحية فقط، بل أن الحياة تشمل كل الموجودات. لأن الكون يتكون من أصغر جزيء وهو جزيء الهيدروجين الى أكبر الجزيئات من البوليمرات وبينهما ما تراه وتتحمسه في الحياة الدنيا. ولا يمكن أن يتكون جزيء من غير

---

55 تفسير القرآن العظيم، صدر المتألهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت 1059 هـ)، دار الإيمان، قم، ج 7، ص 419

تكوين رابطة الكترونية ناتجة من حركة الإلكترونات. ولعدل الله ورحمته أن مدّ الإلكترون بالحركة خيرٌ منه وكمالٌ منه سبحانه وتعالى. فأَيُّ صخرة أو حبة رمل أو ورقة نبات أو رميم جثة فإنها مكونة من مركبات كيميائية. وهذه المركبات مكوّنة من ذرات ترتبط فيما بينها بروابط إلكترونية. ففي هذه المركبات حركة دائبة مستمرة وهي مستمدة من محرّكها ومطلقها ومنشئها، وهو الله الخالق القدير وهادئها لفعالها، فاستجابت لأمره طائعة بإرادة ذاتية ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة النحل: آية 40]. والسؤال الآن ماذا لو سلبت هذه الحركة؟

### ماذا لو سلبت هذه الحركة من قبل واهبها؟

إن في الإجابة على هذا التساؤل تتجلى حقيقة يوم القيامة -والله العالم-، والصور المهولة المرافقة لها. إن سلب الحركة الذاتية للإلكترون فإنه يعني انهيار كل جرم ملموس ومحسوس في الكون، وتصح عليه الآيات التالية:

### 1. الجبال:

الله سبحانه الذي جعل الجبال مثبتات للأرض من الميد والإمالة يمينا وشمالا كما قال سبحانه في أكثر من آية ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾<sup>56</sup>. هذه الجبال المكوّنة

---

56 [سورة النحل: آية 15]، وأيضا في: [سورة الرعد: آية 3]، [سورة الحجر: آية 19]، [سورة الأنبياء: آية 31]، [سورة النمل: آية 61]، [سورة لقمان: آية 10]، [سورة فصلت: آية 10]، [سورة ق: آية 7]، [سورة المرسلات: آية 27].

من تراب وصخور وغيرهما، وبدورها فإن كل واحدة منها مكوّن من مركبات كيميائية. وأن هذه المركبات الكيميائية متكوّنة من ارتباط ذرات متنوعة. وذلك من خلال روابط كيميائية، وهذه الروابط الكيميائية ناشئة من حركة متعاكسة للإلكترونين. وأن كل ذرة من الذرتين المترابطتين تساهم بالإلكترون واحد أو أكثر لتكوين رابطة واحدة أو أكثر مع الذرات الأخرى. فإذا توقف الإلكترون عن حركته (بالأمر الإلهي) فإنه سيلبّي طائعا كما تمّ ذلك للسموات والأرض حيث سمعتا النداء الرباني فاستجابتا بإرادتهما الذاتية ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: آية 11]. وستتطم الرابطة الكيميائية وسيتفكك المركب متحوّلا الى ذراته وهذه الذرات تموت بموت الحركات الأخرى لمكونات النواة. حينئذ لم يعد هناك وجودا كما كان ولا موجودات وتعود كلها الى مكونات الذرة الساكنة غير المتحركة وينتهي الكون الى عالم مكونات الذرة والله العالم.

فالجبال بعدما تصير كثبانا مهيلا يسيرها على وجه الأرض كما تسير السحاب في السماء لا بل ستصبح كالسراب لا حقيقة لوجودها ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ: آية 20]، فهي هباء منتشرا. ولأن الأنسان لا يستطيع وصف الهباء أكثر مما عرّف على أن الهباء هو شيء مرئي في شعاع الشمس الداخل من الكوة. وفي الحقيقة هو لا شيء كما وصف الله عمل الكافرين في الآخرة فوصف عملهم المحبط بأنه هباء: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [سورة الفرقان: آية 23]، فتصبح الجبال الرواسي المثبتة للأرض هباء منثورا ولا ترى وإنما هي وهم كالسراب لا حقيقة له.

## 2. الأرض

لقد خلق الله الأرض وجعلها مبسوطة محلاً للاستقرار ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا﴾ [سورة البقرة: آية 22]، وجعلها قراراً ﴿جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ [سورة غافر: آية 64] ومهدّها للعيش ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَّكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا﴾ [سورة طه: آية 53]، كما أن الله سبحانه قد مكن الإنسان منها والعيش فيها ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ﴾ [سورة الأعراف: آية 10]. لقد أحكم الله صنعه وما كان خلقه للأرض من غير نظام، فما خلق الله سبحانه وتعالى السماء والأرض وما بينهما لعباً ولهواً وما أبدعها عبثاً ولغير غاية ومرض حاشا الله وتعالى الله علواً كبيراً ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبِينِ﴾ [سورة الأنبياء: آية 16]. فلم يكن خلقها من غير غاية ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا﴾ [سورة ص: آية 27] بل أنه سبحانه قد خلقها بالحق ﴿مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الدخان: آية 39]. وحفظهما من الزوال ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا﴾ [سورة فاطر: آية 41]، ولكن هذه الأرض لا تبقى كما هي. بل سيتغير النظام، وينشأ نظام غير هذا النظام الذي نعهده ولا يمكن أن نتصوره، ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: آية 48]، والله العالم كيف ستكون، فستنزل عنها الجبال وتصبح مستوية لا جبال ولا وديان ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف: آية 47]. ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [سورة الانشقاق: آية 3] فلا حائل أو حاجز فيغطيها نور الله ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر: آية 69]. وتشقق

﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [سورة ق: آية 44]، فتهتز الأرض وتزلزل ويدق بعضها على بعض فترج رجا ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [سورة الواقعة: آية 4]. وتلك دكا ﴿إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ [سورة الفجر: آية 21]. فترجف الأرض ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ [سورة المزمّل: آية 14]، فتزلزل كل الأرض زلزلة قوية ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زُلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: آية 1]، فستفرغ ما في داخلها ﴿وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: آية 2]، فتضطرب الأرض وتتردد في الذهاب والمجيء مثل الموج ﴿أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [سورة الملك: آية 16]، فتحاط بالقدرة الربانية فتدك وتفتت الى أجزاء صغيرة فتدك الأرض بدكة واحدة لا تنتهي بأخرى تقضي على وجودها، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الحاقة: آية 14]، وهذا يعني أن "الدك أشد الدق وهو كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغار، وحمل الأرض والجبال إحاطة القدرة بها، وتوصيف الدكة بالواحدة للإشارة إلى سرعة تفتتها بحيث لا يفتر إلى دكة ثانية"<sup>57</sup>

57 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج19، ص 397

### 3. السماء:

هذه السماء التي بنيت<sup>58</sup> بأيد<sup>59</sup> وقدره، وجعلت سقفا محفوظا<sup>60</sup>، عالية الدقة في الجمال والنظام، وجعل فيها بروجاً وزينة<sup>61</sup>، سيتغير ويتبدل نظامها ولم تعد كما كانت عليه. وسوف لا أذكر الى ما سيجري لها فقد أذكره في مكان آخر. وهنا سأذكر الآيات التي تناولت هذا التبدل: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية 104] ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [سورة الطور: آية 9]، ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الدخان: آية 10]، ﴿إِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [سورة الرحمن: آية 37]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 1]، ﴿السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا﴾ [سورة المزمل: آية 18]، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [سورة المرسلات: آية 9]، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [سورة النبا: آية 19]، ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ [سورة الانشقاق: آية 1]، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: آية 16]، ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ﴾ [سورة التكويم: آية 11]، ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [سورة المعارج: آية 8].

---

58 [سورة البقرة: آية 22]، [سورة غافر: آية 64]، [سورة ق: آية 6]، [سورة الذاريات: آية 47]، [سورة

النازعات: آية 27]، [سورة الشمس: آية 5]

59 [سورة الذاريات: آية 47]

60 [سورة الأنبياء: آية 32]

61 [سورة الحجر: آية 16]، [سورة الفرقان: آية 61]، [سورة فصلت: آية 12]، [سورة ق: آية 6]، [سورة

الملك: آية 5]، [سورة البروج: آية 1]

فالله سبحانه وتعالى خلقها في بداية خلقها فكان حالها كالدخان، "حال كونها شيئاً سماه الله دخاناً وهو مادتها التي ألبسها الصورة"<sup>62</sup>: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: آية 11].

وشاء الله سبحانه أن ينتهي كيان السماء بعد تلك الصور التي رسمها القرآن الكريم من خلال الآيات أعلاه من التشقق والتقطع والانصهار والوهن والضعف بعد ذلك تعود هذه السماء الى الصورة نفسها التي بدأت منها، وهي التي وصفها سبحانه وتعالى بالدخان: ﴿فَأَرْسَلْنَا يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الدخان: آية 10]. لقد ذكر الله سبحانه في الآية الشريفة: ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدًّا عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [سورة الأنبياء: آية 104].

فبعد طي السماء بمعنى "ذهابها عن الحس"<sup>63</sup>، أو "يفنيها فتتحول دخاناً"<sup>64</sup>، وأن الطي للسماء هو "رجوعها إلى خزائن الغيب بعدما نزلت منها وقدرت"<sup>65</sup> كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [سورة الحجر: آية 21]. فتعود السماء الى الحالة التي ابتدأها سبحانه وتعالى قبل الخلق، فاعتبر سبحانه وتعالى "تشبيهه الاعادة بالإبداء

---

62 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج17، ص 365

63 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 7، ص 105

64 تفسير القمي، أبو علي بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج2، ص 77

65 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج14، ص 329



في جواز تعلّق الإرادة والامكان، او تشبيهه المعاد بالمبتدئ<sup>66</sup>. بمعنى آخر "يعيد أول الخلق كما بدأه، تشبيهاً للإعادة بالإبداء في تناول القدرة لهما على السواء، وما أول الخلق حتى يعيده كما بدأه؟ قلت: أوله إيجاده عن العدم، فكما أوجده أولاً عن عدم، يعيده ثانياً عن عدم"<sup>67</sup>

### الفصل 8: الموت والفناء والإعدام والهلاك

الإعدام كما عرّفه الطوسي على أنه تفريق الأجزاء، وفصل أكثر فجعل المكلف يعاد وذلك بجمع أجزائه بينما لا يعاد غيره، وجاز إعدامه بالكلية ولا يعاد ويصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منتفع به، أو يقال: إنه هالك بالنظر إلى ذاته، فقال "فإن المكلف بعد تفريق أجزائه يصدق عليه أنه هالك بمعنى أنه غير منتفع به، أو يقال: إنه هالك بالنظر إلى ذاته، فالإعدام بتفريق أجزائه ولا امتناع في ذلك، فإذا فرق أجزائه كان هو العدم فإذا أراد الله تعالى إعادته جمع تلك الأجزاء وألفها كما كانت فذلك هو المعاد. ويدل على هذا التأويل قوله تعالى في سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية الإحياء للأجزاء في الآخرة، لأنه تعالى لا يحيي الموتى في دار التكليف وإنما الإحياء يقع في الآخرة، فسأل عليه السلام عن كيفية ذلك الإحياء وهو يشتمل على السؤال عن جميع المقدمات التي يفعلها الله تعالى حتى يهيئهم

---

66 تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الجنازدي الملقب بسلطان علي شاه (ت القرن 14 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، 1988، ج 3، ص 65

67 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة، 2009، ج 3، ص 137

ويعدهم لنفخ الروح، فأمره الله تعالى بأخذ أربعة من الطير وتقطيعها وتفريق أجزائها ومزج بعض الأجزاء ببعض ثم يفرقها ويضعها على الجبال ثم يدعوها، فلما دعاها ميّز الله تعالى أجزاء كل طير عن الآخر وجمع أجزاء كل طير وفرقها عن أجزاء الآخر حتى كملت البنية التي كانت عليها أولاً ثم أحيها الله تعالى ولم يعدم تلك الأجزاء فكذا في المكلف، هذا ما فهمناه من قوله: كما في قصة إبراهيم عليه السلام، فهذا هو كيفية الإعدام<sup>68</sup>.

إذن فإعدام الشيء هو تفريق أجزائه وجمعها إعادته للحياة، والسؤال هنا هو من الذي يجمعها بعد التفريق؟ فإن قلنا إن ذات الشيء تجمع نفسها فذلك غير ممكن لأنها في ذاتها مخلوقة ولا تملك لذاتها أن تحيي ذاتها بعد التفريق، وإنما من خلقها أول مرة قادر على أن يعيدها سيرتها الأولى. "فذلك أمر ربك إذا أراد إحياء الموتى يدعوهم بكلمة التكوين: كونوا أحياء، فيكونون أحياء كما كان شأنه في بدء الخلقة، ذلك إذ قال للسموات والأرض اتنيا طوعاً أو كرهاً قالتا: أتينا طائعين"<sup>69</sup>. وهذا ما نلاحظه في قصة إحياء الطيور المقطعة أجزاؤها، إذ عبّر عن إعادة الحياة بالسعي وهو نوع من الحركة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَكِنَّ لِيُطْمِئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا وَاعْلَمَنَّ أَنَّهُ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [سورة البقرة: آية 260].

---

68 كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد - الخواجة نصير الدين الطوسي، (ت 673 هـ)، شرح جمال الدين الحسن بن يوسف الحلبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ص 546

69 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 2، ص 368

وكذلك السماء والأرض فإن الله سبحانه وتعالى جمع أجزاءهما وكان دخان بعد تفرق.  
فأمر الدخان الذي هو مادة السماء والأرض أن يكون سماءً وأرضاً فكانا سماءً وأرضاً قال  
تعالى: ﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا  
طَائِعِينَ﴾ [سورة فصلت: آية 11]. مع ملاحظة استجابة السماء والأرض وطواعية فعلهما.  
وذلك لإرادتهما الذاتية ولعلمهما بقدرة القدير الذي أنطق كل شيء ﴿قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي  
أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [سورة فصلت: آية 21]. إذن فإن العدم هو تفريق أجزاء الحي، والحياة هي  
جمع الأجزاء.

وما هو الموت إذن؟ لقد وصف الموت على أنه "ما استحال معه النمو والإحساس ولم  
تصح معه القدرة والعلم وهو نقيض الحياة، والموت من فعل الله تعالى وليس لأحد فيه صنع  
ولا يقدر عليه أحد إلا الله تعالى"<sup>70</sup>. ويتعلق الموت بذي روح مثل الحيوانات ومنها العاقل وهو  
الإنسان ذو الأفعال الاختيارية أو التي لها أفعال جبرية كباقي الحيوانات والنباتات. وعلى أي  
حال سواء كانت الحياة متعلقة بالروح أو النفس أو الحركة فالموت نقيض الحياة.

---

70 تصحيح اعتقادات الإمامية تأليف الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد  
الله العكبري، البغدادي (ت 413 هـ) تحقيق حسين درگاهي، ج1، ص 94

وأما الفناء فهو الموت لذوات الشعور "أي كل ذي شعور وعقل على الأرض سيفنى وفيه تسجيل الزوال والدثور على الثقلين"<sup>71</sup>، لقوله تعالى بالإشارة للضمير من في الآية الشريفة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: آية 26].

"إنّ ملاحظة المعنى اللغوي، والاستعمال القرآني للفظ الموت، يفيد أنّ الموت أمرٌ عدمي، ولكنه من زاوية أخرى، ليس أمراً عديمياً في موت الإنسان، وذلك لو فسّر الموت بقبض الملائكة الطاقات الحسية الموجودة في الإنسان؛ فإنّه أمرٌ وجوديٌّ، وإن كانت النتيجة أمراً عديمياً. ويمكن جعله أيضاً من الأمور الوجودية في الإنسان، بمعنى آخر، وهو أنّ الموت نافذة على الحياة الجديدة"<sup>72</sup>. يقول أمير المؤمنين عليه السلام في إشارة الى أن الموت انتقال وليس فناء: "أيها الناس، إنّنا خلقنا وإياكم للبقاء، لا للفناء لكنكم من دار إلى دار تنقلون"<sup>73</sup>، فالفناء كما يتضح هو أمر عدمي.

والهلاك: "بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً"<sup>74</sup>، وأن "هلاك الأشياء بطلان وجودها الابتدائي وخلق النشأة الأولى عنها بانتقالها إلى النشأة الأخرى ورجوعها إلى الله واستقرارها عنده"<sup>75</sup>، ويتأكد لنا أن الأشياء كلها الى زوال ما عدا الواجب الوجود الخالق للأشياء، فهو

---

71 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج19، ص 100

72 الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، حسن محمد مكي العاملي، مطبعة القدس، إيران، 1412، ج4، ص 222

73 الإرشاد: للشيخ المفيد، ج1، ص 238

74 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009، مادة هلك

75 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج16، ص 92

هالكها جميعها ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: آية 88]. والفرق بين الإهلاك والاعدام: "أن الإهلاك أعم من الإعدام لأنه قد يكون ينقض البنية وإبطال الحاسة وما يجوز أن يصل معه اللذة والمنفعة، والإعدام نقيض الإيجاد فهو أخص فكل إعدام إهلاك وليس كل إهلاك إعداماً"<sup>76</sup>. وسأقف عند هذه العبارة في موضوع الانتقال بعد النفخة الثانية والتي تسمى نفخة الإحياء التي هي بعد النفخة الأولى نفخة الإمامة حيث يتحقق الهلاك الكامل لكل شيء، وسيكون في الفصل التاسع.

## الفصل 9: السكون

يعرف السكون على أنه "ثبوت الشيء بعد تحرك"<sup>77</sup>. كما في حال سكون الأرض ووقوفها عن حركتها فإنه سيمتد الظل وسيدوم، فالحركة الطبيعية للأرض حول نفسها ستجعل الظل يمتد ويطول بدلالة الشمس، ولو شاء الله لجعل الظل ساكناً بسكون الأرض كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [سورة الفرقان: آية 45]. "ولازم ذلك أن يكون المراد بمد الظل ما يعرض الظل الحادث بعد الزوال من التمدد شيئاً فشيئاً من المغرب إلى المشرق حسب اقتراب الشمس من الأفق حتى

---

76 الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت

395هـ)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 84

77 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009، ص 417

إذا غربت كانت فيه نهاية الامتداد وهو الليل، وهو في جميع أحواله متحرك ولو شاء الله لجعله ساكناً، والدليل هي الشمس من حيث دلالتها بنورها على أن هناك ظلاً وبانبساطه شيئاً فشيئاً على تمدد الظل شيئاً فشيئاً ولولاها لم يتتبه لوجود الظل<sup>78</sup>. فقال تعالى ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا أَلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ۝ ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [سورة الفرقان: آية 45-46].

قلنا إن المتحرك لا يتحرك بذاته بل يحتاج الى محرّك، وهنا يضع الله سبحانه وتعالى تساؤلين فيما لو غيّرت الأرض دورانها حول نفسها حول القطب الحالي الشمالي الجنوبي الى محور عرضي عمودي على الشمس، أي كحركة القمر حول نفسه حول محوره العمودي على الأرض، فماذا سيكون؟ سيكون الوجه المواجه للشمس في نهار دائم سرمدي، والوجه البعيد عن الشمس سيقع بمخروط الظل وسيكون في ليل سرمدي، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾<sup>79</sup>. ومن المعلوم أن حركة الرياح والمياه في البحار والمحيطات كلها ستأثر بحرارة الأرض وبمعنى آخر أن حركتها حول الشمس مرهونة بحرارة الأرض. وبثبوتها فإن حركة الرياح ستسكن وكذلك تيارات الماء، قال تعالى ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ [سورة الشورى: آية 33].

78 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج15، ص 225

79 [سورة القصص: آية 72-73]

ولكن في تصوّر آخر؛ فيما إذا توقفت الأرض في دورانها حول نفسها فجأة، فإن الجو المحيط بالأرض سيستمر بسرعته الأصلية وهي سرعة دوران الأرض والتي تساوي 1760 كيلومتر في الساعة على خط الاستواء، وهذا يكفي لکنس ما على وجه الأرض ليس له جذور صخرية. وكذلك ستتلاطم مياه المحيطات والبحار لتتسكب جانبا، فتغمر كل شيء، كما وسيطول اليوم ليصبح مساويا 365 يوما عاديا.

وسيواجه نصف الأرض للشمس وترتفع درجة الحرارة، بينما النصف الآخر سيغمره الظلام وسيبرد كثيرا، ولا نرى ما تعودنا عليه من تبدل الليل بالنهار وغروب وشروق إلا بعد نصف عام. وماذا بعد؟

### لو توقفت الأرض عن دورانها حول الشمس فماذا يحدث؟

يرسم العلماء صورة افتراضية معتمدة على الحسابات الرياضية فيفترضون أن الأرض ستتسارع بالسقوط نحو مركز الشمس. والتي تبعد عنها بـ 150 مليون كيلومتر، وأن رحلتها ستستغرق 64 يوما ونصف، بينما سترتفع درجة الحرارة بشكل مضطرد الى أن تصل الى 300 درجة مئوية في اليوم الستين والأيام الأربعة الأخيرة سترتفع بشكل سريع الى أكثر من 3000 درجة مئوية.

ويقال: إنه بعد شهر من رحلة الأرض نحو الشمس وبتلك السرعة الهائلة تؤدي الى رفع درجة حرارتها الى 58 درجة مئوية، وسيصبح حينئذ نور الشمس شديدا جدا. بينما تبدأ المعامل على الأرض بالتوقف، وستحترق الغابات وتموت معظم الحيوانات ويصبح العيش صعبا. وباقتراب الأرض من الشمس أكثر فإن درجة حرارة الماء سترتفع أكثر فيؤدي الى خروج بعض الغازات الذائبة في الماء وأحدها الأوكسجين، فتموت الأسماك بسبب نقص الأوكسجين بينما ترتفع نسبة غاز الأمونيا، وبذلك فإن بارتفاع درجة حرارة الماء فإنها ستقضي على سلسلة الغذاء الموجودة في الماء، وهذا يعني موت الحياة المائية. ولا يفوتنا أن نذكر أنه سيسبقها جفاف الهواء الذي يؤدي الى قتل الحشرات.

وبينما تستمر رحلة الأرض نحو الشمس، وحينما تصل درجة الحرارة 103 مئوية سيبدأ الماء بالغليان على سطح المحيطات والبحار، عندئذ سيغطي الأرض بخار كثيف. ولكن بسبب الضغط العالي في أعماق المحيطات فإنه يمنع من غليان الماء في الأعماق.

وفي اليوم الأخير، فإنه ستقترب الأرض جدا من الشمس وبسبب الجذب الهائل من قبل الشمس فإن شكل الأرض سيتغير الى الشكل الكمثري فينسحب الوجه المقابل للشمس بقوة، مما يعجل في فتق وجه الأرض وتتشقق الصخور وتتفجر وتُخرج ما فيها على شكل حمم من بين الصخور المنفطرة. ثم تبدأ الصخور بالانصهار. علما أن درجة حرارة سطح الشمس هي 5700 كلفن، بينما في مركزها فإنها تساوي 15 مليون كلفن<sup>80</sup>.

---

80 الصفر المئوي تساوي 273.15 كلفن



ولو تساءلنا، ماذا لو اختفت الشمس من مدارها المرسوم لها؟ من المعلوم أن الشمس تتحرك بجريان نحو مستقرها أو حتى تنتهي إلى مستقرها ومن ثم استقرارها وسكونها بانقضاء أجلها أو زمن استقرارها أو محله بذلك الجريان فإنه مقدّر بزمن ومكان محددين ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة يس: آية 38]، على أن "ظاهر الجري هو الدال على الانتقال من مكان إلى مكان"<sup>81</sup>، فالشمس لا تزال تجري ما دام النظام الدنيوي على حاله حتى تستقر وتسكن بانقضاء أجلها حينئذ ستخرب الدنيا ويبطل هذا النظام، وعندئذ فإن الأرض ستقلت من مدارها حول الشمس وستسير بسرعة مستقيمة مهولة وبسرعة 30 كيلومتر في الثانية. ومن ثم سيغمر الأرض ظلام دامس وستبرد حرارتها بشكل سريع. ومن المعلوم أن 99.9% من الإنتاج الطبيعي على الأرض هو من عمليات التمثيل الضوئي والتي تعتمد على الشمس، كما لم يعد باستطاعة النباتات أخذ ثاني أكسيد الكربون، وطرح الأوكسجين الغاز الحيوي. علما أن اختفاء ضوء الشمس يستغرق 8 دقائق و20 ثانية يومئذ سنرى آخر غروب للشمس. وآخر شيء يراه الإنسان هو القمر قبل انتهاء التسعة دقائق الأخيرة. وبعدها يعم الأرض الظلام، ولكن لا يزال يصلنا ضوء ضعيف جدا من المجرة التي نحن فيها ولكن بشدة قليلة مساوية لـ 1/300 من ضوء القمر، وهو كما ترى ضئيلا جدا لا يكفي حتى للرؤية، فستتار المدن بالإضاءة الاصطناعية. بينما يعم الظلام المناطق الأخرى غير المضاءة.

81 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج17، ص 89

وكما أسلفنا فبغيا ب ضوء الشمس سيتوقف التمثيل الضوئي ولم يعد هناك امتصاص لغاز ثاني أكسيد الكربون لإنتاج غاز الأوكسجين الغاز الحيوي لبقاء الكائنات الحية على الأرض. كما أنه وبعد أسبوع واحد من غياب ضوء الشمس فإن سطح الأرض سيبرد الى درجة الانجماء أو أقل منها. وبالتأكيد فستموت جميع النباتات وسيتبعها موت كل الحيوانات ومنها الإنسان الذي يعتمد على النبات، وبعدها بعام ستخفص درجة الحرارة الى (-73) درجة مئوية وعندها ستتجمد كل المياه في العالم.

كان ذلك التصور العلمي للتغيرات المتوقعة في النظام الشمسي. وهو كما ترى مجرد افتراضات لا يمكن تأكيدها بتجربة. ولنعد الآن للصورة القرآنية.

## الفصل 10: الصورة القرآنية للحظة انهيار الموجودات

يرسم القرآن الكريم الصورة الحقيقية لما سيجري عند بدء العالم الأخرى، فسيحصل تغيير كوني شامل، وأنه سيقوم نظام جديد لا يعتمد على السنن المتعاهد عليها التي أودعها سبحانه وتعالى في الحياة الدنيا.

ونؤكد هنا تماما جهلنا بما سيجري يومئذ إلا ما أشار له القرآن الكريم. وسنمر على ما ذكره القرآن الكريم بالإفادة أيضا من التصورات العلمية التي سنّها الله سبحانه وتعالى والتي على أساسها قام الكون، وبانهيارها سينتهي ذلك النظام الكوني الجميل الذي وصفه سبحانه

وتعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمُوتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [سورة البقرة: آية 164].

فأرضنا جزء من الكون المحاط بسقف يحفظه وهي السماء ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ [سورة الأنبياء: آية 32]، التي زينها سبحانه وتعالى بمصابيح ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [سورة الملك: آية 5]، ولأن الكواكب لا تزول عن مستقرها وكذا النجوم. فجعل السماء الدنيا جميلة مزدانة بضوئها ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافات: آية 6]. وقد زادها جمالا بأن جعل للشمس والقمر منازلًا وبروجًا وهو ما يزيد الناظرين للسماء بهجة وجمالا بتفاوت لمعان الكواكب، ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [سورة الحجر: آية 16]. ماذا سيحدث لهذا الكون الباهر الجمال، ومتسق النظام إذا اختل نظامه؟

### ماذا لو اختل النظام الشمسي؟

ذكرنا فيما سبق؛ التصور العلمي لانزلاق الأرض نحو الشمس مارة بأفلاك الكواكب الشمسية بالترتيب نحو الشمس. لقد افترضوا الأزمان استنادا لسرعة الأرض وتسارعها نحو الشمس، ثم افترضوا أن الرحلة تستغرق نحو 64 يوما ونصف اليوم، والله العالم بكل ما

سيجري لأنه لا أحد يعلم ولم تجر تجربة في ذلك بل هي مجرد افتراضات لا تمنعنا من التدبر والتفكير.

ويصف القرآن الكريم مشاهدا لما سيجري للأرض والكون كالتي ذكرناها سابقا ومتممة لها ولكننا جمعناها لوحدها.

## 1- الأرض والشمس

لنبدأ من أن الأرض كوكب تابع للشمس وأن الحياة مرهونة بوجودها على ما هي عليه، ثم أن الله سبحانه وتعالى قد جعل واحدة من غايات خلق الشمس والقمر هو لتنظيم الحساب إلى سنين وأشهر، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [سورة يونس: آية 5]. وهذه الشمس قد رسم لها فلكا ومسارا تجري فيه وتنتقل من مكان لآخر كما أراد الله لها وقدره تقديرا حكيما الى أن تبلغ أجلها وغايتها؛ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [سورة يس: آية 38].

ويظل الشمس والقمر متلازمين لما خط لهما من المسير. وفيه لا تدرك الشمس القمر حتى يختل بذلك التدبير المعمول بهما، ولا يمكن لأحدهما أن يتداخل بفلك الآخر فكل له تقديره الدقيق جدا وبحركة الأرض حول نفسها يتكون الليل والنهار. فلا الليل سابق النهار،

"بل هما متعاقبان في التدبير فيتقدم الليل النهار فيجتمع ليلتان ثم نهاران بل يتعاقبان"<sup>82</sup>. فكل من الشمس والقمر وغيرهما من النجوم والكواكب يجرون في مجرى خاص به ومحفوظ. قال تعالى ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: آية 40]. وقد قدر الله سبحانه وتعالى للشمس والقمر بحساب منه فيجريان على ما قدر لهما من نوع الجري ﴿الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ [سورة الرحمن: آية 5]. وعلى هذا النظام الدقيق دامت الحياة على الأرض واستقامت وعمرت.

وماذا لو توقفت الأرض عن الدوران حول نفسها؟

فسيكون -كما أسلفنا- ليل في نصف الأرض المعاكس للشمس أمده نصف سنة والنصف المواجه للشمس نهار ويستمر لنصف سنة أيضا، وأما إذا ما غيّرت الأرض دورانها حول نفسها بالدوران الطبيعي حول قطبها الشمالي الجنوبي وأصبح دورانها حول قطبها العرضي العمودي على الشمس، فسيصبح دورانها وقتئذ حول نفسها كما هو دوران القمر حول نفسه، ولكن لم يعد هناك ليل ونهار وتعاقب بينهما. بل لها وجه بعيد عن مواجهة الشمس ولا يرى نورها، وآخر يواجه الشمس دائما، فيعني ذلك سرمدية كل من الليل والنهار معا. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهُ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بَلِيلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [سورة القصص: آية 72-73].

82 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج17، ص 91

اما إذا ما تغيرت الشمس وتكوّرت، وذلك بأن "يجمع نورها ويذهب ضوءها ويحدث الله تعالى للعباد ضياء غيرها"<sup>83</sup>، ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [سورة التكوير: آية 1]، فتتكور الشمس يعني "انظلام جرمها"<sup>84</sup>. وسينطفئ نورها وسينكدر ضياؤها، وسيحدث ذات الانكدار للشموس الأخرى تماما كما لشمسنا، وستمحي آثارها ويذهب نورها فتطمس؛ ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [سورة المرسلات: آية 8]. فبعضها أكبر من شمسنا وأشد ضياءً ﴿وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ [سورة التكوير: آية 2]، ويومئذ ستنهاوي كل النجوم والكواكب فلا نظام يحدها ولا أفلاك تجري فيها، وستفطرط كما ينفطر العقد فتتناثر اللآلئ، ويضطرب نظام حركتها ويختل، ﴿وَإِذَا الْكُوكَبُ انْتَثَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 2]. ويتزامن مع ذلك تماما أن تتوقف الأرض عن دورانها حول نفسها وحول الشمس فجأة مما يجعل من الهواء المحيط بالأرض وكذلك من المياه الموجودة في البحار والمحيطات أن تستمر بحركتها وهي المساوية لسرعة دوران الأرض قبل التوقف وهي 1760 كيلومتر في الساعة على خط الاستواء، فهذا يكفي لكنس ما على وجه الأرض ليس له جذور صخرية. فيرسل الله سبحانه وتعالى الحاصب وهي الريح المهلكة في البر والقاصف وهي الريح المهلكة في البحر. ريحاً كاسرة للسفن أو مهلكة مغرقة لكل شيء؛ ﴿أَفَأَمِنْتُمْ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِباً ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلاً ۝ أَمْ أَمِنْتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفاً مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا

83 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج10، ص 276

84 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 213

لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا ﴿ [سورة الإسراء: آية 68-69]. فإن هذه الرياح ستقتلع ما علا سطح الأرض فتثير التراب و"ستقلب باطنها إلى ظاهرها وكذلك تشمل القبور"85، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعِثِرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 4]، ريح شديدة عاصفة تدفع أمواج البحر العالية فتحيط بهم من كل جانب؛ ﴿جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ﴾ [سورة يونس: آية 22]، وكذلك ستتلاطم مياه المحيطات والبحار لتسكب جانبا، فتغمر كل شيء، وسينفتح بعضها في بعض حتى يزول الحائل ويختلط العذب منها والمالح ويعود بحراً واحداً، ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 3]، يحدث ذلك بعدما غاب النظام الذي كان حافظاً لها حيث جعل سبحانه وتعالى الأرض مستقرة لا تميد بنا وجعل في فرجها التي في جوفها أنهاراً وجعل لها جبلاً ثابتة وجعل بين البحرين مانعاً من اختلاطهما وامتزاجهما، ﴿أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا﴾ [سورة النمل: آية 61]. سيغيب ذلك وينتهي، وسيعم الأرض حينئذ ظلام دامس هذا ما سيحدث على الأرض. وبالتأكيد فسيكون من الأسهل للقمر عند اختلال النظام، فينخسف نوره، ويذهب ضيأؤه، قال تعالى: ﴿وَحَسَفَ الْقَمَرُ﴾86 وهنا يجتمع الشمس والقمر على غياب نورهما ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: آية 9]، فيجتمعان، وقد يكون جمعهما "جمعاً في ذهاب نورهما بما يراه الانسان. وجعل أحد الشئيين مع الآخر. فالجمع على ثلاثة اقسام: جمع في المكان،

85 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 223

86[سورة القيامة: آية 8]

وجمع في الزمان، وجمع الاعراض في المحل. وجمع الشئيين في حكم او صفة مجاز<sup>87</sup>. لا بأس حتى وإن جمعا في المكان والزمان فيمكن ذلك، ولم يعد هناك سراج ولا قمر منير، وهما اللذان كانا يزينان السماء الدنيا بنورهما ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [سورة الفرقان: آية 61]، فتبارك الرحمن من اتقان محكم متين.

ولم يعد ذلك التلازم قائما بينهما، ووقتا لا يتعداه أحدهما على الآخر، ذلك التوقيت المتلازم والمتبادل الذي ينتج عنهما الليل والنهار. والذي كان يومئذ في الحياة الدنيا وتتعم بها الموجودات على الأرض: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [سورة يس: آية 40]، ولكن باختلال هذا النظام الدقيق حينئذ لم يعد هناك فلك خاص لكل واحد منهما، بل سيجتمعان ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [سورة القيامة: آية 9]. فسينشق القمر وينفلق الى نصفين "فينفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين"<sup>88</sup> قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [سورة القمر: آية 1].

---

87 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج10، ص 193

88 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج19، ص 55



## 2- النجوم والسماء

ولم تعد هناك نجوم يُهتدى بنورها ومواقعها ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة الأنعام: آية 97]، بعدما كانت مسخرة للإنسان في حياته يهتدي بها في الليالي الحالكة الظلام، فيذكروهم سبحانه وتعالى بجمال نظمها وترتيب مواقعها الدقيق: ﴿أَمْ نَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ﴾ [سورة النمل: آية 63].

وأما السماء التي كانت مثل السقف المحفوظ والمحكم فإنها بعدما تهاوت النجوم وتناثرت، وانطفأ نورها فستصبح واهية ضعيفة، وستكون كالدخان فتضعف وتضمحل. فهي في مور شديد ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ [سورة الطور: آية 9]، ولم تعد تلك السماء "ذات الطرائق الحسنة المراد منها مسير الكواكب او نضدها على طرائق التزيين"<sup>89</sup> تلك التي أقسم بها الله سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ [سورة الذاريات: آية 7]. فإنها ستتشقق وتصبح واهية رخوة، ضعيفة مسترخية، بانقراض بنيتها ولا ينظر أكثر هولاً من رؤية السماء في هذه الهيئة، ﴿وَأَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ [سورة الحاقة: آية 16]، وستنفرج فتتشقق وتتصدع ﴿وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ﴾ [سورة المرسلات: آية 9]، وتشققها هذا سيصبح كقطع

---

89 تفسير الصافي، الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، مكتبة الصدر، طهران، ج5، ص 36

الأبواب"90، ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ [سورة النبأ: آية 19]؛ "فشقت شقوقاً"91، "وتتقطع"92  
﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْفَطَرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 1]، وستنقطر وتتصهر أو أنها ستجري كالدهان  
"فإن الدهن إذا صب بعضها فوق بعض اختلف ألوانها ودردي الزيت أيضاً تختلف ألوانه"93،  
وستصير حمرة كالأديم الأحمر؛ ﴿فَإِذَا أَنْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾ [سورة الرحمن:  
آية 37]، وذلك كله لأنها أطاعت وانقادت لربها وكانت حقيقة وجديرة بأن تستمع وتطيع  
فنتشقق وتتصدع وتنفرج ﴿إِذَا السَّمَاءُ أَنْشَقَّتْ﴾ ﴿وَأَذْنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [سورة الانشقاق: آية  
2-1].

فلم تعد سماء جميلة رائعة كما عهدناها مبنية بقوة ومتانة من قبل القدير ﴿وَالسَّمَاءُ  
بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: آية 47]، ولم تعد سقفا محفوظا ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ  
سَقْفًا مَّخْفُوظًا﴾ [سورة الأنبياء: آية 32] تزينه الكواكب ﴿إِنَّا زَيْنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾  
[سورة الصافات: آية 6]، لكنها ستكشط "بالقلع عن شدة التزاق فينطبق على طيها"94؛ ﴿وَإِذَا

90 التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ)

91 تفسير الصافي، الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ)، مكتبة الصدر،  
طهران، ج 7، ص 382

92 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر  
والتوزيع، 2005

93 تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الجنازدي الملقب بسلطان علي شاه (ت القرن  
14 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

94 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر  
والتوزيع، 2005

السَّمَاءُ كُشِطَتْ ﴿ [سورة التكوير: آية 11]، فتطوى بقدره القدير ويحكم قبضته "فيطويها بقدرته كما يطوي الواحد منا الشيء المقدور له طيه بيمينه"<sup>95</sup> ﴿وَالسَّمُوتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [سورة الزمر: آية 67]، فيطويها كطي السجل ﴿يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجْلِ لِلْكِتَابِ﴾ [سورة الأنبياء: آية 104] أو يطويها بمعنى "يفنيها فتتحول دخاناً"<sup>96</sup>. ثم تصير مائعة "كدردي الزيت، أو كعكر القطران، أو مصهور الفضة"<sup>97</sup> فتصهر السماء تماماً وتصير "كمصهور النحاس أو الرصاص"<sup>98</sup>، أو الفلزات، فتكون كالمهل: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ﴾ [سورة المعارج: آية 8]. فتملاً فضاء الكون كله بالدخان أو ما يشبه الغيوم ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ﴾ [سورة الفرقان: آية 25] وينتشر دخان غليظ يغطي الناس ويغطيهم ﴿يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [سورة الدخان: آية 10]. "دخان يملأ ما بين المشرق والمغرب، يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهية الزكمة، وأما الكافر فبمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره"<sup>99</sup>

- 
- 95 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005
- 96 تفسير القمي، أبو علي بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج2، ص77
- 97 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005
- 98 تفسير القمي، أبو علي بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ج2، ص7
- 99 الأمتل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005. ج16، ص132

فالسما هي الشاهد الأول على اختلال النظام الكوني، فلم يعد هناك تزامنا، ولا أفلاكا ولا بروجاً للكواكب ولا للشمس ولا منازل للقمر كالتى أقسم بها سبحانه وتعالى ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ [سورة البروج: آية 1] التى جعلها زينة للناظرين، فى جوها من البهجة والجمال الذى يولّه الألباب بنجومها الزاهرة وكواكبها اللامعة على اختلاف أقدارها وتتوّع لمعانها ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجاً وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [سورة الحجر: آية 16] وحفظها سبحانه وتعالى من كل ما يسيء لها ﴿وَحَفِظْنَاَهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ﴾ [سورة الحجر: آية 2]. وزينها سبحانه وتعالى بزينة الكواكب فكانت من الجمال ما يبهر العقول ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ﴾ [سورة الصافات: آية 6]. وإن ذلك الكون الفسيح المتنامي والمتحرك نحو التوسع والامتداد، وذلك "البناء الواسع الفضاء عجيب، فإن القبة الواسعة لا يقدر عليها البناءون"<sup>100</sup> ﴿وَالسَّمَاءِ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [سورة الذاريات: آية 47]. لم تصمد هكذا إذا جاء الوعد الحق ﴿وَأَقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ﴾ [سورة الأنبياء: آية 97]، فستهاوى هذه النجوم وتتساقط من مواقعها التى حددها لها سبحانه وتعالى ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾ [سورة الواقعة: آية 75]. وسينمحي أثرها فتطمس ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ﴾ [سورة المرسلات: آية 8]، حينئذ سينطفئ نورها وتموت ﴿وَإِذَا النُّجُومُ أَنْكَدَرَتْ﴾ [سورة التكوير: آية 2]، بعدما كانت تتقب الظلام بضوئها ﴿النَّجْمُ

100 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث- القاهرة. ج 28، ص

أَلْتَأْتِبُ ﴿ [سورة الطارق: آية 3]، فتفقد مواقعها وأفلاكها وتتناثر كالعقد المنفرط في الكون ﴿وَأِذَا  
الْكَوَاكِبُ أَنْتَثَرَتْ ﴿ [سورة الانفطار: آية 2]

### 3- الشمس والأرض

أما شمسنا فإنها ستتسارع نحو غايتها ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ  
الْعَلِيمِ ﴿ [سورة يس: آية 38]. آخذة معها كل الكواكب الشمسية وأرضنا واحدة منها ومعها  
القمر. فيجتمع القمر مع الشمس ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿ [سورة القيامة: آية 9]. فسينشق  
القمر وينفلق الى نصفين "فينفصل بعضه عن بعض فصار فرقتين شقتين"<sup>101</sup>، ﴿أَقْتَرَبَتِ  
السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ الْقَمَرُ ﴿ [سورة القمر: آية 1].

لنتوقف هنيهة ونتمعن في التغيرات قبيل اجتماع الأرض بالشمس المعبر عنها بالقرآن  
الكريم اجتماع الشمس والقمر. وسوف لا أعتبر التسلسل في الحوادث هي قطعة وإنما علمها  
عند الله سبحانه وتعالى وإنما رتبناها ليسهل علينا تصورها.

فستمر الأرض وتخسف وينقلب سافلها على عاليها "وإن الله يخسف بهم الأرض بأمره  
وإذنه. فيحرك الأرض عند الخسف بهم حتى تضطرب وتتحرك، فتعلو عليهم وهم يخسفون

---

101 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج19، ص 55

فيها، فيذهبون والأرض فوقهم تمور، فتلقاهم إلى أسفل السافلين"102 ﴿ءَأَمِنْتُمْ مِّنْ فِي السَّمَاءِ

أَنْ يَخْسِفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [سورة الملك: آية 16]

عندئذ لم تبق الأرض كما كانت عليه فستكتسحها الريح الشديدة السرعة بعدما يتوقف دورانها وأنها ستقتلع كل ما على وجهها فتُمدّ "بزوال كل انثناء فيها وتستوي"103، "فتتبسط باندكاك جبالها وأكامها حتى تصير كالصحيفة الملساء"104 ﴿وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ﴾ [سورة الانشقاق: آية 3]، فلا وجود للأشجار وستصبح أرضاً صفصفاً ﴿فَيَذَرُهَا قَاعاً صَفْصَفًا﴾ [سورة طه: آية 106]، بعدما تنسف الجبال نسفاً فتتذرى وتتطاير ولم يعد لها وجودا ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْجَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [سورة طه: آية 105] فتتسطح وتصبح ملساء ولم يعد فيها ارتفاعاً ولا انخفاضاً ﴿لَا تَرَى فِيهَا عِوَجاً وَلَا أَمْتًا﴾ [سورة طه: آية 107]، فينهار النظام الشمسي، فلا الأرض تدور حول نفسها ولا هي تدور حول الشمس ولم تعد الأرض في مدارها حول الشمس فتحدث فيها زلزلة عظيمة لا يمكن وصفها، فهي ليست كالزلازل المعهودة مع ما يرافقها من دمار وخراب. زلزلة ينتج عنها أن تتحرك الأرض كل الأرض، وتضطرب اضطراباً شديداً، ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: آية 1]، "فإذا حُركت الأرض تحريكاً شديداً فأنها ستعمّ جميع الأرض. بخلاف الزلازل المعهودة التي تختص ببعض الأرض

---

102 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة. ج30، ص

70

103 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة.

104 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر

والتوزيع، 2005، ج 10، ص 699

فتكون قوية لشدتها"<sup>105</sup>. ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ﴾ [سورة الحج: آية 1]، وتتزعزع الأرض وما عليها وما تحتها فتزحف الأرض بترديد واضطراب ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [سورة النازعات: آية 6]، فترج رجا عنيفا وتهتز هزا. كأن الأرض قد "حركت تحريكاً شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها من جبل وبناء"<sup>106</sup> ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًا﴾ [سورة الواقعة: آية 4]، ويرافق كل ذلك التحريك والاضطراب والزلزلة العظيمة صوت شديد زاجر ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [سورة النازعات: آية 13]، صوت يصك الأذان ويصعق كل سامع له. هذا الصوت الشديد المصاحب للخراب الكبير سوف لا يبقى كائنا حيا إلا وقتله حينئذ يسود الأرض الموت في كل مكان ﴿يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: آية 68]. " فإذا سمع الناس ذلك الصوت وهو في الشدة بحيث لا تحتمله طبائعهم يفرعون عنده ويصعقون ويموتون"<sup>107</sup>، ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمُوتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة النمل: آية 87]، وسنفصل بذلك الصوت الرهيب في الفصل القادم. ولم تعد أرضنا هي ذات الأرض التي نحن عليها فتتبدل ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: آية 48]، "فيزداد في الأرض وينقص منها وتذهب آكامها وجبالها وأوديتها

105 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر

والتوزيع، 2005

106 الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار المعرفة،

2009، ج6، ص 21

107 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة. ج24، ص

وشجرها وتمد مد الأديم وتصير مستوية لا ترى فيها عوجاً ولا أمثاً، وتتغير السماوات بذهاب الشمس والقمر والنجوم وبالجملة سيتغير كل من الأرض والسماوات عما هو عليه الآن في الدنيا من الصفات والأشكال<sup>108</sup>. فلا الرياح العاتية الشديدة ولا ارتجاف الأرض يبقى ما في باطن الأرض على حاله. فستشقق وتتقطر ﴿يَوْمَ تَشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً﴾ [سورة ق: آية 44] فستلقي الأرض ما في باطنها على وجه الأرض المستوية الخالية من كل شيء وهي الساهرة<sup>109</sup> ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [سورة النازعات: آية 14]. فإن هذه الرياح ستقتلع ما علا سطح الأرض فتثير التراب و"ستقلب باطنها إلى ظاهرها وكذلك تشمل القبور"<sup>110</sup>، ﴿وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 4]. ولا تعود الأرض تحتل ما في داخلها كلما اقتربت من الشمس فيتشقق سطحها ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾ [سورة الطارق: آية 12] فتنشق الصخور ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [سورة عبس: آية 26] وتخرج ما في بطنها من كنوزها ومعادننا وحممها ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [سورة الزلزلة: آية 2]، "وتخلو غاية الخلو حتى لم يبق

108 فتح الباري بشرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار طيبة.

ج15، ب 44، ص 19

109 الساهرة الأرض المستوية أو الأرض الخالية من النبات، الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد

محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 186

110 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 223



في باطنها شيء كأنها تكلفت أقصى جهدها في الخلو"111 ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾ [سورة الانشقاق: آية 4].

#### 4- البحار والمحيطات

وأما البحار والمحيطات فستتلاطم أمواجها وتتسكب بغزارة على السواحل فتغمر مياهها الأراضي الشاسعة وتتفرغ من مياهها وتمتلئ الأخرى. فيكون البحر مسجورا وهو تعبير عن "البحر الفارغ والممتلئ"112 ﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [سورة الطور: آية 6]، أو أن البحار ستفرغ "فتغيب مياهها بتسجير النار فيها"113 ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾ [سورة التكويد: آية 6]. فتنفجر البحار بعضها على بعض وتزول الحواجز بينها وتغرق الأرض، وتتفجر البحار بعضها في بعض فصارت البحور كلها بحراً واحداً ويرتفع البرزخ بينها"114. ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [سورة الانفطار: آية 3]. وأنها قد تسجرت فأوقدت فصارت ناراً تضطرم، فتمتلئ السماء بخارا شديدا وغماما يعم الأرض من كل جهاتها، ﴿وَيَوْمَ تَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْعَمَامِ﴾ [سورة الفرقان: آية 25].

---

111 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث- القاهرة. ج31، ص

104

112 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج10، ص 274

113 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 19، ص 7

114 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 10، ص 277

وسيرافق هذا المشهد المخيف أن تتحرك الجبال وتسير تاركة جذورها فتزول جميعها فلا جبال ولا تلال. "فإذا زالت الجبال والتلال ترى الأرض بارزه لا تغيب ناحية منها عن أخرى بحائل حاجز ولا يستتر صقع منها عن صقع بسائر"<sup>115</sup> ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف: آية: 47] فتصبح الأرض مستوية لا حواجز ولا جبال وكأن الشروق يرى على وجه الأرض، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [سورة الزمر: آية 69]. وتندك أجزاءها وتتلاشى وتتكسر الجبال الى قطع صغيرة، "فكسرتا كسرة واحدة لا تنثنى حتى يستوي ما عليها من شيء مثل الأديم الممدود. ويضرب بعضها ببعض الى أن تفتتت الجبال وسفتها الرياح وبقيت الأرض شيئاً واحداً لا جبل فيها ولا رابية. بل تكون قطعة مستوية وإنما فتدك الأرض جملة واحدة والجبال دكة واحدة"<sup>116</sup>، ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾<sup>117</sup>، "حتى صارتا غباراً، فتصير الجبال رملاً سائلاً متناثراً"<sup>118</sup>، وتصير ككثيب الرمل الذي يهيل إذا حرك من أسفله، ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيباً مَّهِيلاً﴾ [سورة المزمل: آية 14]. ثم يفرق الله تركيب أجزاء الجبال وينسفها نسفاً ﴿يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا﴾ [سورة طه: آية 105]، فتهد الجبال بعدما تنتشق الأرض ﴿وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًا﴾ [سورة مريم:

115 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 13، ص 321

116 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 10، ص 108

117 [سورة الحاقة: آية 14]، [سورة الفجر: آية 21]

118 التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ)، ج 10، ص 166

آية 90]. وتفتنت تفتيتا دقيقا فتبس بسا وتصبح كالدقيق ﴿وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًا﴾ [سورة الواقعة: آية 5]، فتصبح "كالعين المنفوش فتنتشر كالصوف المنتشر ذو ألوان مختلفة فتتلاشى الجبال على اختلاف ألوانها بزلزلة الساعة"<sup>119</sup>. ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة القارعة: آية 5] فتتفرق كالغبار أو أدق "كالهباء الظاهر في شعاع الشمس الداخل من الكوة"<sup>120</sup>، ﴿فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًا﴾ [سورة الواقعة: آية 6] وتصبح غاية بالدقة بل تصبح كالسراب. ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ [سورة النبأ: آية 20]، "فالسراب هو الموهوم من الماء اللامع في المفاوز ويطلق على كل ما يتوهم ذا حقيقة ولا حقيقة له على طريق الاستعارة" فستنتهي الجبال تماما ولا يكون لها وجود.

## الفصل 11: النفخة الأولى والنفخة الثانية والانتقال الى النشأة الآخرة

العنوان يتحدث عن إماتة الأحياء جميعها في الأرض والسماء ثم إحياءهم بعد إماتتهم، ثم الهلاك لكل شيء. وسنتحدث عن النفختين لنفهم معناهما وآثارهما كما صورهما القرآن الكريم. ونعرج فيما بعد ذلك على ما بعد النفخة الثانية وما قبل النشأة الآخرة وهي الهلاك لكل شيء إلا الخالق سبحانه وتعالى.

119 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 20، ص 349

120 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 19، ص 116

ويتردد في ذكر النفخة في القرآن الكريم لفظ الصُور. والصور يعني: البوق الذي يستخدم عادة لإيقاف أو لتحريك الجند وأحياناً القوافل ولقد استخدم لفظ الصور مقترناً بالنفخة في عدد من الآيات<sup>121</sup>، وهذا يدل على توقف الحياة بأسرها في عالم الموجودات ومن ثم حركتها مرة أخرى. والنفخ في الصور كناية عن إعلام الجماعة الكثيرين كالعسكر بما يجب عليهم أن يعملوا به جمعاً كالحضور والارتحال وغير ذلك. وقد يعبر عنه قرآنياً بالناقور. والناقور يعني "الصور الذي ينقر أي ينفخ فيه الملك"<sup>122</sup>. قال تعالى ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [سورة المدثر: آية 8]، "وهي كهيئة البوق"<sup>123</sup>.

وقد ورد في القرآن الكريم بالإضافة الى النفخة ألفاظ أخرى لها ذات الدلالة وهي كلها متعلقة بالصوت الشديد وما يلازمه ومنها:

### 1. الصيحة:

الصيحة: "الصيحة هي رفع الصوت"<sup>124</sup>، قال تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [سورة ق: آية 42] والصيحة "صاعقة سماوية نازلة عليهم أماتهم بصوتها

121 [سورة الأنعام: آية 73، [سورة الكهف: آية 99، [سورة طه: آية 102، [سورة المؤمنون: آية 101، [سورة النمل: آية 87]، [سورة يس: آية 51]، [سورة الزمر: آية 68]، [سورة ق: آية 20]، [سورة الحاقة: آية 13]، [سورة النبأ: آية 18]، [سورة المدثر: آية 8]

122 لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر-بيروت، 1414هـ.

123 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 10، ص 176

124 مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009

وأحرقتهم بنارها إذ لا مانع من نسبة حادث من الحوادث الكونية خارق للعادة أو جار عليها إلى ملك روحاني إذا كان هو في مجرى صدوره كما أن سائر الحوادث الكونية من الموت والحياة والرزق وغيرها منسوبة إلى الملائكة العمالة<sup>125</sup>. وتؤدي بهم إلى الموت ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾ [سورة ق: آية 19]، فأخذتهم الصيحة السماوية وهي العذاب المحتوم فأهلكتهم وجعلتهم كغذاء السيل، وما يحمله السيل من يابس النبات والورق والعيان البالية. فصاروا كالمتبقي في حضيرة الماشية من نباتات وأشجار يابسة المنقطعة بالكسر والرض الذي يجمعه صاحب الحظيرة؛ فصاروا كيبس الشجر المتفتت إذا تحطم. ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ﴾ [سورة القمر: آية 31] ولقد أخذ الله سبحانه على نفسه أن تموت كل الأحياء ذات نفس فقال ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾<sup>126</sup>، حينئذ يعم السكون والخمود ولا حركة لها ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [سورة يس: آية 29]، فالصيحة عذاب استئصال تقضي عليهم وتهلكهم وما لها من رجوع أو مهلة ﴿وَمَا يَنْظُرُ هُوَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [سورة ص: آية 15]، ويقال أن هذه الصيحة هي صيحة الإحياء. فيقومون من موتهم ناظرين فيخرجون من الأجداث أو يخرجون للمثول أمام الله سبحانه ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [سورة ق: آية 42]، فتشقق عنهم الأرض سراعاً ﴿يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا﴾ [سورة ق: آية 43]

125 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 10، ص 316

126 [سورة آل عمران: آية 185]، [سورة الأنبياء: آية 35]، [سورة العنكبوت: آية 57]

أذلاء لما سيؤولون له ﴿وَكُلُّ أُنثَىٰ دَاخِرِينَ﴾ [سورة النمل: آية 87]، فيلقون على "وجه الأرض المستوية الخالية من النبات"<sup>127</sup> ﴿فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ﴾ [سورة النازعات: آية 14].

## 2. الصاخة:

الصاخة: "الصاخة صيحة تصخ الأذن أي تطعنها فتصمها لشدتها؛ ومنه سميت القيامة الصاخة"<sup>128</sup>. قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ﴾ [سورة عبس: آية 33]. فإذا جاءت الصاخة فإن المرء سيهرب من موالاة أخيه ولا يكلمه ﴿يَوْمَ يَقْرَأُ الْمُرءُ مِنْ أَخِيهِ﴾ [سورة عبس: آية 34]، ﴿وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝ لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [سورة عبس: آية 35-37]

## 3. القارعة:

القارعة: "هي المصيبة تفرع الإنسان قرعاً كأنها تؤذنه بأشد من نفسه"<sup>129</sup>. ﴿الْقَارِعَةُ ۝ مَا الْقَارِعَةُ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ﴾ [سورة القارعة: آية 1-3] وهي "كل هنة شديدة القرع. وهي القيامة أيضا"<sup>130</sup>. والقارعة من القرع وهو الضرب باعتماد شديد مما يؤدي الى

127 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 186

128 لسان العرب، ابن منظور (ت 711 هـ)، دار صادر-بيروت، 1414 هـ، مادة صخ

129 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج11، ص 361

130 المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458 هـ)، 1996، ج4، ص 185

أن يكون الناس "كالجراد الذي ينفرش ويركب بعضه بعضاً وهو غوغاء الجراد"<sup>131</sup>، ﴿يَوْمَ يَكُونُ  
النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾ [سورة القارعة: آية 4]، وستتلاشى الجبال بمختلف ألوانها وستصبح  
كالصوف المنفوش ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [سورة القارعة: آية 5]

#### 4. الزجرة:

"الزجرة الصرفة عن الشيء بالمخافة"<sup>132</sup>. وهي "صيحة"<sup>133</sup>، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ

زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾<sup>134</sup>.

#### 5. الراجفة والرادفة:

الراجفة: "صيحة عظيمة وفيها تردد واضطراب كالرعد إذا تمخض"<sup>135</sup>، ﴿يَوْمَ تَرُجِفُ

الرَّاجِفَةُ﴾ [سورة النازعات: آية 6]، وتأتي بعدها الرادفة ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [سورة النازعات: آية

[7

---

131 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج20، ص 349

132 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005

133 تفسير الصافي، الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت 1091 هـ)، مكتبة الصدر، طهران

134 [سورة الصافات: آية 19]، [سورة النازعات: آية 13]

135 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 10، ص 254

## 6. النفخة الأولى ﴿نفخة الإمامة﴾:

جاء في القرآن الكريم إشارة الى ما سيجري عندما ينفخ في الصور ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾<sup>136</sup>، وفيها يموت كل ذي حياة في السماوات والأرض، فالموت إنما يلحق الأجساد بانقطاع تعلق الأرواح بها. فيصعق كل من في السماوات والأرض فيهلكوا جميعاً، والصعق معناه "الصوت الشديد. ومنه الصاعقة، وهي الوقع الشديد من الرعد. ويقال إن الصعاق الصوت الشديد. ومنه قولهم: صعق، إذا مات، كأنه أصابته صاعقة"<sup>137</sup>، "وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً"<sup>138</sup> ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [سورة الزمر: آية 68]. وقد قدمنا للمشاهد التي تؤدي الى انعدام الحياة نتيجة لتغير الأرض والسماء. ففي مثل هذه الأوضاع والأحوال، تموت جميع الكائنات الحية فتحدث صيحة عظيمة: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [سورة يس: آية 49] "تفاجئهم ولا تمهلهم أن يموتوا من فورهم فلا يستطيعون توصية - على أن الموت يعمهم جميعاً دفعة فلا يترك منهم أحداً يوصي إليه - ولا أن يرجعوا إلى أهلهم إذا كانوا في الخارج من بيوتهم مثلاً"<sup>139</sup>. ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾ [سورة يس: آية

136 [سورة الأنعام: آية 73]، [سورة الكهف: آية 99]

137 معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت 395 هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ت 395)، ج3، ص 285

138 تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت 1205هـ)، دار الهداية، مادة صعق، ج26، ص 25

139 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج17، ص 98



[50] ففي هذه النفخة إماتة لجميع الأحياء. وهنا أود الإشارة الى أنه: بالإضافة لما سبق الى أن الإماتة هنا على ما بينه المفسرون تقع على الثقلين وهما الجن والإنس كما جاء في الآية الشريفة ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [سورة الرحمن: آية 26]. فإن هذه الآية لم تتكلم عن باقي الموجودات الكونية التي تكلمت عنها الآية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ﴾ [سورة القصص: آية 88] والتي سنتكلم عنها في المرحلة ما بعد النفخة الثانية. فيتوضح لنا أن النفخة الأولى إنما هي لإماتة الثقلين والنفخة الثانية هي لإحيائهم. ويتم في النفختين معا ظواهر كونية تؤدي الى إزالة الحياة للكائنات الحية من على الأرض. وقد أشرنا لها في الفصول السابقة، وكذلك تغيير وجه الأرض وتسطيحها تماما بل وتغيير موقعها وغيرها من الظواهر وكلها وضعت تحت أشرط الساعة ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [سورة محمد: آية 18].

## 7. أشرط الساعة:

والأشرط جمع الشرط بالتحريك وهو العلامة، وبذلك فقد بين القرآن الكريم علامات الساعة التي تخبر بوقوع يوم القيامة. وسأمر عليها فقط-لاستكمال الموضوع، ولن أقف عندها كثيرا، ومنها<sup>140</sup>:

---

140 الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، حسن محمد مكي العاملي، مطبعة القدس، إيران، 1412

### 1. بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

والكلام للمشركين ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى

لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ﴾ [سورة محمد: آية 18].

### 2. اندكاك سد يأجوج ومأجوج:

﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿١٠﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ

يَمُوجٌ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [سورة الكهف: آية 98-99].

### 3. اتيان السماء بدخان مبين:

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة

الدخان: آية 10-11]، ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ﴾ [سورة الدخان: آية

[16

### 4. نزول المسيح عليه السلام

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُونَ﴾ [سورة الزخرف: آية 57]،

﴿وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِّلَّسَاعَةِ فَلَا تَمْتَرَنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [سورة الزخرف: آية

[61

### 5. إخراج دابة الأرض

﴿وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا

لَا يُوقِنُونَ﴾ [سورة النمل: آية 82]

## 6. مجيء بعض آيات الرب تعالى

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ

يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمُنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمِنِهَا

خَيْرًا قُلِ أَنْتَظِرُونَ إِنَّآ مُنْتَظِرُونَ﴾ [سورة الأنعام: آية 158]

### مشاهد يوم القيامة:

وهناك مشاهد القيامة ومنها الحوادث الكونية الهائلة التي ستقع في نفس قيام الساعة.

وهي التي أسهبنا في الإشارة إليها فيما سبق وسنتكلم عن الجزء الأخير منها ما بين النفخة

الثانية والمعاد وهو الهلاك التام للكون كله ونظامه، والله العالم بالحقائق جميعها.

### 8. النفخة الثانية ﴿نفخة الإحياء﴾:

النفخة الثانية هي التي تحيا فيها الأموات، دون النفخة الأولى التي تموت فيها الأحياء

لكون ما يترتب عليها من انتقاء الأنساب، "واعتبار انتقاء الأنساب من الحوائج الدنيوية التي

تدعو الإنسان إلى الحياة الاجتماعية التي تبتني على تكون البيت، والمجتمع المنزلي يستعقب

التعارف والتعاطف وأقسام التعاون والتعاقد وسائر الأسباب التي تدوم بها العيشة الدنيوية

ويوم القيامة ظرف جزاء الأعمال وسقوط الأسباب التي منها الأعمال فلا موطن فيه للأسباب

الدنيوية التي منها الأنساب بلوازمها وخواصها وآثارها"<sup>141</sup>، وأن التساؤل وثقل الميزان وخفته

---

141 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج15، ص 69

إلى غير ذلك من آثار هي من آثار النفخة الثانية. ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾ [سورة المؤمنون: آية 101-103]. ومن علامات إحياء الأموات بالنفخة الثانية أن يجمعون بعد سكون وموت، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [سورة الكهف: آية 99] وكذلك يحشرون، ويجري بينهم تخافت واستغراب لفترة مكوثهم ويتصورون أنهم مكثوا يوماً. فيجمعون والأرض مستوية لا جبال فيها ولا وديان ولا نبات، وفي هذا الموقف المهول فإنهم جميعاً يتبعون داعي الإحضار بكل خوف وخشوع ومن غير أن يرفعوا صوتاً فيتحدثون همساً، فلا شفاعاة شفيع إلا من يأذن له الله بها: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٣﴾ يَتَخَفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٤﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْئَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٥﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٦﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٧﴾ لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٨﴾ يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٩﴾ يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٠﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١١﴾ وَعَنْتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [سورة طه: آية 102-111]

وتجمل الآيات السابقة وكذلك آيات أخرى قد ورد ذكرها الى ما سيجري على الناس يوم الجزاء من حين يبعثون إلى أن يجزوا بأعمالهم من الإحضار ثم الحشر ثم تسطيح الأرض ثم أنهم يطيعون ويتبعون الداعي للحضور ثم تسقط الشفاعاة حينئذ ثم يحاطون علماً بحالهم

وهي مقدمة للحساب والجزاء ثم سلطان الله وقوته عليهم ونفوذ حكمه فيهم وبالمقابل ذلتهم وخيبتهم.

لقد ذكر القرآن الكريم النفخة وما يتعلق بها من صيحة ونقر وصحّ وزجر ورجف وقرع في آيات عديدة<sup>142</sup> وهنا لا أريد أن أصنف تلك الآيات للنفخة الأولى أو أيها للنفخة الثانية فقد تناولها المفسرون وكتّاب آخرون<sup>143</sup> ، وما أريد أن ألفت الانتباه إليه هو نقطة الانتقال بين نهاية النفخة الثانية وهي إحياء الأموات وانتهاء الكون المتمثل في قوله سبحانه وتعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ﴾ [سورة القصص: آية 88]. ولأصطلح عليها ما قبل المعاد أو نفخة الهلاك.

## 9. ما قبل المعاد ﴿نفخة الهلاك﴾:

﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [سورة الحاقة: آية 13-16]. لو تتبعنا

---

142 [سورة الزمر: آية 68]، [سورة النمل: آية 87]، [سورة الحاقة: آية 13-14]، [سورة المؤمنون: آية 101]، [سورة الكهف: آية 99]، [سورة طه: آية 102]، [سورة النبأ: آية 18]، [سورة الأنعام: آية 73]، [سورة ق: آية 20]، [سورة ق: آية 42]، [سورة يس: آية 29]، [سورة يس: آية 49]، [سورة يس: آية 51]، [سورة يس: آية 53]، [سورة ص: آية 15]، [سورة المدثر: آية 8-9]، [سورة عبس: آية 43-44]، [سورة الصافات: آية 19]، [سورة النازعات: آية 6]، [سورة النازعات: آية 13]، [سورة القارعة: آية 1-3]، [سورة القمر: آية 31]

143 دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي، دار الحق، بيروت. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، حسن محمد مكي العاملي، مطبعة القدس، إيران، 1412؛ مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، فصل 16، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت

تسلسل الآيات الشريفة نرى أن بعد تلك النفخة الواحدة ستدك الأرض بما فيها الجبال وحينئذ يصير يوم القيامة، ثم يلحق باندكك الأرض انشقاق السماء فتصبح واهية ضعيفة. إن "في توصيف النفخة بالواحدة إشارة إلى مضي الأمر ونفوذ القدرة فلا وهن فيه حتى يحتاج إلى تكرار النفخة، وأنها النفخة الثانية التي تحيي الموتى. وقوله تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ فالدك أشد الدق وهو كسر الشيء وتبديله إلى أجزاء صغار، وحمل الأرض والجبال إحاطة القدرة بها، وتوصيف الدكة بالواحدة للإشارة إلى سرعة تفتتها بحيث لا يفتر إلى دكة ثانية. وقوله تعالى: ﴿فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾ [سورة الحاقة: 15]، أي قامت القيامة"144.

والحاقا بهذه الصورة هناك مرحلة أخيرة، وهي مرحلة الهلاك لكل شيء بعد نفخة الإحياء. وفي هذه المرحلة لا يبقى فيها حياة للكائنات الحية ولا وجود لشيء، فكل شيء باطل في ذاته ولا وجود له وهو معدوم. وفي هذه النفخة يعم الموت كل شيء من الأحياء وغيرها "وكل شيء فان بئد الا ذاته"145. أي أن "كل شيء هالك في نفسه باطل في ذاته لا حقيقة له إلا ما كان عنده مما أفاضه الله عليه"146 لقوله تعالى ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة القصص: آية 88]، وقد اختلف المفسرون في تفسير ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾، فمنهم

144 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 19، ص 397

145 مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005، ج 4، ص 269

146 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 16، ص 90

"من فسر الهلاك بالعدم، والمعنى أن الله تعالى يعدم كل شيء سواه عز وجل، ومنهم من فسر الهلاك بإخراجه عن كونه منتفعاً به، إما بالإماتة أو بتفريق الأجزاء، وإن كانت أجزأؤه باقية، فإنه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء أجزائه، بل خروجه عن كونه منتفعاً به، ومنهم من قال: معنى كونه هالكاً كونه قابلاً للهلاك في ذاته، فإن كل ما عداه ممكن الوجود لذاته وكل ما كان ممكن الوجود كان قابلاً للعدم فكان قابلاً للهلاك، فأطلق عليه اسم الهلاك نظراً إلى هذا الوجه"<sup>147</sup>.

بالتأكيد أن أيا كان من تلك الآراء في هلاك الأشياء، إما بتفريق أجزائها أو عدم الانتفاع بها أو عدمها وإبادتها فكلها تدور حول عدم وجودها على الصورة قبل الأخيرة، وبالفعل فإنه سوف يتغير كل شيء لقوله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ [سورة إبراهيم: آية 48]، وغيرها من الصور الكونية التي مررنا بها سابقاً ومنها انشقاق السماء وانشقاق القمر وتكوين الشمس واجتماعها بالقمر ثم الصوت الشديد وغيرها كثير. أقول بالمجمل لم يعد هناك النظام الكوني المتناسق المنقاد الذي كان معمولاً به بل سيتغير كل شيء. فالهلاك: "بطلان الشيء من العالم وعدمه رأساً"<sup>148</sup>، كما وأن "هلاك الأشياء بطلان وجودها الابتدائي وخلو النشأة الأولى عنها بانتقالها إلى النشأة الأخرى ورجوعها إلى الله واستقرارها عنده"<sup>149</sup>، ويتأكد

---

147 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث - القاهرة، ج 25، ص

148 المفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009، مادة هلك

149 الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ)، ج 16، ص 92

لنا أن الأشياء كلها الى زوال ما عدا الواجب الوجود الخالق للأشياء ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [سورة القصص: آية 88]. وزوالها هو زوال بنيتها التي كانت عليها. وعدمها هو غياب مظهرها وعينها، فهلاكها هو انتهاء صورتها التي هي عليها. لعلنا نتساءل كيف يكون ذلك؟

وهنا تبرز حقيقة بيّنة واضحة وهي توقف حركة كل شيء. ولا يمكن أن يكون ذلك إلا بسكون الحركة الجوهرية، وهذا يعني توقف حركة كل مكونات الذرة لأي ممكن الوجود. والذرة هي الجسم المكون الأصغر في الكون، وهذا يعني أيضا انتهاء كل شيء محسوس وملمس؛ فلا جبال ولا تراب ولا سماء ولا نجوم ولا هواء ولا أي شيء. فقط تبقى مكونات وأجزاء الذرة وهي الإلكترونات ومكونات النواة، والله وحده العالم. ويرافق ذلك تكون طاقة هائلة شديدة تفجر الكون كله ولا يمكن تصورها أو تخيل عظمتها وشدتها. ولعل بوقوع الضرب المتتابع الذي سماه القرآن الكريم بالبطش وهو "الأخذ بشدة، وأكثر ما يكون بوقوع الضرب المتتابع"<sup>150</sup> ولعظمتها وقوتها سماها بالبطشة الكبرى ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى﴾ [سورة الدخان: آية 16]، تلك البطشة الكبرى توحى وترسم صورة الأهوال لما سيجري -والله العالم- في لحظات انتهاء النظام الكوني.

---

150 مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث- القاهرة. ج27، ص



## الخاتمة

لقد مررنا بعرض الصور التي بينها القرآن الكريم لآيات يوم القيامة وما قبلها بحدوث  
النفختين الأولى والثانية. وأتمناها بما عرضته الآيتين الكريمتين ﴿إِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ  
وَاحِدَةٌ ﴿١٦﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٧﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٨﴾ وَأَنْشَقَّتِ  
السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٩﴾ [سورة الحاقة: آية 13-16]، و ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [سورة  
القصاص: آية 88]. اللتان تبينان تلاشي الموجودات. وافترضنا أن تلاشيها هو ليس عدمها  
بل بقاء أجزاءها، وإنما يكون ذلك بسكون حركة مكونات الموجودات والتمثلة بجوهر المادة،  
والمعرّف علميا بأصغر مكونات المواد وهي الذرة، فسكون الموجودات يتم بسكون حركة  
مكونات الذرة. وأنها أي مكونات الذرة ستستجيب حتما للأمر الإلهي مطيعة خاشعة خاضعة  
مدركة عالمة كما مر توضيح ذلك. وكنا قد فصلنا في الفصول السابقة مقدمات تمهيدية  
لتوضيح الغاية من بحثنا هذا.

أسأل العلي القدير العفو لما كتبت إذا أخطأت. رافعا يدي بالدعاء ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ  
تَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [سورة البقرة: آية 286]، بما خطته يميني، ولا أحيط بعلمك فأنت العالم  
﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ﴾ [سورة البقرة: آية 255] والحمد لله رب العالمين.

## ثبت المصادر

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

1. القرآن الكريم
2. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (ت 354هـ)، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988.
3. الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد، أبي عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (الشيخ المفيد)، (ت 413 هـ)، مؤسسة آل البيت لإحياء التراث، بيروت 1995.
4. الإلهيات على هدى الكتاب والسنة والعقل، حسن محمد مكي العاملي، مطبعة القدس، إيران، 1412،
5. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2005.
6. تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الرّبدي (ت 1205هـ)، دار الهداية.
7. التبيان الجامع لعلوم القرآن، الطوسي (ت 460 هـ).
8. تصحيح اعتقادات الإمامية تأليف الإمام الشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم أبي عبد الله العكبري، البغدادي (ت 413 هـ) تحقيق حسين درگاهي.

9. تفسير البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت 685هـ))، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1418هـ.
10. تفسير الصافي، الصافي في تفسير كلام الله الوافي، الفيض الكاشاني (ت 1091هـ)، مكتبة الصدر، طهران.
11. تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين (ت 774هـ)، دار طيبة، 1999.
12. تفسير القرآن العظيم، صدر المتألهين محمد بن إبراهيم صدر الدين الشيرازي (ت 1059هـ)، دار الإيمان، قم.
13. تفسير القمي، أبو علي بن إبراهيم القمي (القرن الثالث)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت.
14. تفسير بيان السعادة في مقامات العبادة، سلطان محمد الجنازدي الملقب بسلطان علي شاه (ت القرن 14 هـ)، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
15. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر - بيروت.
16. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت 911هـ)، دار الفكر - بيروت.
17. دروس في العقيدة الإسلامية، محمد تقي اليزدي، دار الحق، بيروت.

18. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، احمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، دار  
طبية.

19. فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، دار  
ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، 1414 هـ.

20. فتوحات الوهاب بتوضيح شرح منهج الطلاب المعروف بحاشية الجمل، سليمان بن عمر  
بن منصور العجيلي الأزهرى، المعروف بالجمل (ت: 1204هـ)، دار الفكر.

21. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران  
العسكري (ت 395هـ)، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة.

22. كتاب التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت 816هـ)، دار  
الكتب العلمية بيروت، 1983.

23. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، الزمخشري، دار  
المعرفة، 2009

24. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، الخواجة نصير الدين الطوسي، (ت 673 هـ)،  
شرح جمال الدين الحسن بن يوسف الحلبي، مؤسسة الأعلمي، بيروت.

25. لسان العرب، ابن منظور (ت 711هـ)، دار صادر-بيروت، 1414هـ.

26. المبدأ والمعاد، أبي علي الحسين بن عبد الله بن سينا، وزارة التراث القومي والثقافة،  
سلطنة عمان، 1998.

27. مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بي الحسين الطبرسي، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، 2005.
28. المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت 458هـ)، 1996.
29. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، ت 395 هـ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع (ت 395).
30. مفاتيح الغيب، التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، (ت 604هـ)، دار الحديث- القاهرة.
31. مفاهيم القرآن، جعفر السبحاني، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت.
32. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، دار القلم - الدار الشامية، 2009.
33. من المبدأ الى المعاد في حوار بين طالبين، حسين علي منتظري، مؤسسه تحقيقات ونشر معارف اهل البيت (ع)، إيران.
34. موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد التهانوي، (ت: بعد 1158هـ)، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996.
35. الميزان في تفسير القرآن، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي (ت 1401 هـ).

ثانيا: مصادر الإنترنت:

1- <https://ar.wikipedia.org>

## تعريف بالباحث

الدكتور احمد الصفار من مواليد الحلة عام 1951. خريج جامعة بغداد بكالوريوس 1974 وماجستير 1976 كيمياء، وأكمل الدكتوراه في الكيمياء من جامعة مانشستر عام 1982. عمل في عدة جامعات منها جامعة بغداد، ومانشستر في بريطانيا، وباتنة في الجزائر والزاوية في ليبيا لفترة تجاوزت 23 عاما ترك فيها خمس مؤلفات منهجية ضمن التخصص لازالت تدرس ضمن مناهجها التعليمية للمرحلتين الثانية والرابعة. وللباحث اهتمامات في التراث العلمي في الكيمياء. وقد نشر بحثين في المجلة الجامعية لجامعة الزاوية وهما "التطور الدلالي في المصطلح الكيميائي" ودراسة معجمية للمصطلح الكيميائي". وكذلك له اهتمامات في الدراسات القرآنية وكتب الكثير من الدراسات منها قدم للنشر وأحدها "اللفظ القرآني بين القوة والفعل" رشح للنشر في مجلة صدى القرآن التابعة للعتبة الحسينية. ونشر له بحث (انتقال صفات الإنسان لآخرته) في مجلة المصباح في عددها 36، وله بحوث عديدة جاهزة للنشر من بينها لغة الجسم في القرآن الكريم يقع في 315 صفحة، ودراسة معجمية لمواضيع القرآن الكريم يقع في 400 صفحة. وله مؤلفات غير منهجية منها "الكيمياء وعجائب الصنع الرباني" مطبوع في 50 صفحة. وكتاب "المختصر في سر غياب المنتظر: فلسفة امتلاء الأرض بالظلم والجور" في 150 صفحة، فاز بالمرتبة الأولى للمسابقة بمؤلف حول غيبة الإمام المهدي عج المقامة من قبل العتبة الحسينية للعام 2018. وشارك بكتاب (الفتح المبين الى المهدي من الحسين عليهما السلام) في مسابقة ربيع الشهادة للعتبتين الحسينية والعباسية بواقع 650 صفحة.